الأزهر

الغزو الفكرى

فى التصور الإسلامى

إعداد الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم

رئيس التحرير

د/على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - جمادى الأولى ١٤١٤هـ

الغزو الفكري
في التصور الإسلامي

إعداد الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح
بجامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم

رئيس التحرير
د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - جمادى الأولى ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسولنا الصادق الأمين .. أما بعد .. .

فإن الأمة الإسلامية تعانى من الغزو الفكرى ، الذى عمل على شغل الناس بكل ما هو بعيد عن الفهم الصحيح لمبادىء الإسلام .

ولا يخفى على أحد أن التيارات الغازية تعمل بكل ما تملك من إمكانات على غزو المجتمعات الإسلامية غزواً يفتت الأمة ويضعف من إنطلاقها ، ويقيد حركتها ، ويبعدها عن الواقع .

وأصحاب التيارات المعادية للإسلام ما سكتوا عن الإسلام منذ أشرق على الأرض ، ولايزالون يتحركون ليكيدوا للإسلام والمسلمين . ولازال الغزو الفكرى يستهدف الجذور ، ويركز على تشويه الأصول .

والحركات الهدامة والتيارات المختلفة تحاول جهدها أن تعيق العمل الإسلامى كى لا ينطلق المسلمون إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بالأيدى إلى التنمية والانتاج ، والتقدم .

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب . إذا تأكد لديه أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية . هو نتيجة حتمية لتغلغل الحركات الهدامة التى تنخر فى عظام الأمة ..

ومما لاشك فيه أن العالم الإسلامى هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار ؛ نظراً إلى موقعه ، وخطورة موقفه .

والهدف من تصدير الأفكار واحد لدى مراكز الإنتاج . وهو أن تبقى مجتمعات الأمة الإسلامية على اختلافها . مفتقرة إلى غيرها ، وإن يحال بينها وبين أفكارها الأصيلة .

ومن حق مجتمعات الأمة الإسلامية أن تتنبه للأخطار الفكرية والتيارات الهدامة التى تحدق بالأمة ..

ومن حق الأمة أن تتبصر المواقع ، وتتعرف على الصواب لتتمكن من المواجهة .

والمواجهة لن تتأتى إلا بعد معرفه هذه التيارات ، وهذا الغزو . ومما يلاحظ أن الإنسانية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه للغزو الفكرى خبراء ومتفلسفون كما تشهد فى هذا العصر الذى اتخذت فيه الحركات الغازية نظريات وفلسفات بعيدة عن الصواب ..

وهذه الدراسة التى نقدمها لك ـ أيها القارىء الكريم ـ تحت عنوان « الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى » أعددتها بناء على رغبة منظمة المؤتمر الإسلامى حيث شاركت بها فى الدورة السابعة لمجمع الفقه الإسلامى بجدة مايو ١٩٩٢م. وهى تضع العلامات فى الطريق ، وتوضح لنا خطوات التحرك السليم الذى يمضى بنا إلى بناء مجتمعاتنا والحرص على سلامة وأمن أمتنا الإسلامية .

وإن أمة تخطو إلى مجد مشرق لابد وأن تتحرك فى ثبات وتتبصر العواقب .

الدكتور / أحمد عبدالرحيم السايح

مصطلح الغزو الفكرى :

بداية نقف عند مصطلح «الغزو الفكرى» الذى يتردد فى هذا العصر كثيراً على ألسنة الباحثين والكاتبين والمتحدثين ، وإن وقفة استقرائية ، لتكشف فى وضوح : أن هذا المصطلح لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجرى «القرن العشرين الميلادى» .

ولكن ليس معنى عدم وجود المصطلح ، أو عدم استخدام المصطلح . قبل القرن الرابع عشر الهجرى ، أن معنى الغزو الفكرى ، ومفهومه ، وموضوعه ، لم يكن موجوداً ؛ لأن المستقرىء لأحوال الأمم والشعوب ، يجد أن مفهوم «الغزو الفكرى» ، كان موجوداً فى القديم ، وفى الحديث .

وكلمة : «الغزو» فى اللغة العربية ، تُعْطِى معنى : القصد ، والطلب ، والسير ، إلى قتال الأعداء ، فى ديارهم ، وانتهابهم ، وقهرهم ، والتغلب عليهم .

ومصطلح «الغزو الفكرى» ، قصد به : «إغارة الأعداء على أمة من الأمم ، بأسلحة معينة ، وأساليب مختلفة ؛ لتدمير قواها الداخلية ، وعزائمها ومقوماتها ، وانتهاب كل ما تملك»[1] .

والفرق بين «الغزو الفكرى» ، و«الغزو العسكرى» : أن الغزو

(١) انظر : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٨٠ ط . دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٨هـ ، القاهرة .

العسكرى يأتى للقهر ، وتحقيق أهداف استعمارية دون رغبة الشعوب المستعمرة .

أما الغزو الفكرى ، فهو لتصفية العقول ، والأفهام ، لتكون تابعة للغازى[٢] .

وقد يكون الغزو الفكرى أشد وأقسى ؛ لأن الأمة المهزومة فكرياً تسير إلى غازيها عن طواعية وإلى جزارها عن رضا واقتناع وحب ، لا تحاول التمرد أو الخلاص .

وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة ، حيث أن كلمة الغزو استعملت فى معناها ، وهى الإغارة على أمة من الأمم للاعتداء عليها ، وانتهابها ، ولكن عن طريق الفكر ، وتدمير القوى المفكرة فيها ، وهذا مالفتت إليه كلمة : « الفكر » ، التى تطابق معناها فى العربية معناها فى المصطلح[٣] .

ويمكن أن يقال : إن المصطلح استعار كلمة « الغزو » للفكر ، لما بينها وبين الغزو فى الحرب من علاقة فى نهب الشعوب ، وتدميرها ، والسيطرة عليها .

ويمكن أن يقال : إن مصطلح « الغزو » مجاز على التشبيه بالحرب الفعلية فى : التدمير ، والتخريب ، والانتهاب ، والسيطرة على

---

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨٠ ، بتصرف .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٦٨١ مع تصرف وإضافة .

الشعوب ، ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح ، واضرابه من المصطلحات التى تدل على هذا المعنى ، وتسير فى فلكه(٤) .

ومما يسترعى الانتباه ، أن بعض العلماء والباحثين ينكرون ، ويستنكرون ، وجود «الغزو الفكرى» معتبرين الحديث عنه مجرد «وهم» من الأوهام .

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم ـ رغم الحدود الدولية السياسية ، والحواجز الجغرافية ، وبسبب من التقدم الهائل فى ثمرات «ثورة الاتصال» ـ اليوم باعتباره «وطناً واحداً» ، لحضارة واحدة ، يسمونها : «حضارة العصر» أو «الحضارة العالمية» أو «الحضارة الإنسانية» ويتصورون الأمم ، والشعوب ، والقوميات ، مجرد درجات ومستويات فى البناء الواحد لهذه الحضارة الواحدة .

ومن ثم فليس فى هذا التصور حدود ـ لها حرمة الحدود ـ تميز «أوطاناً» متعددة ، لحضارات متميزة .. ولهذا فإن عبور الفكر ـ كل الفكر ـ للحدود ـ كل الحدود ـ ليس فيه عندهم شبهة «غزو» ولا أثر «عدوان»(٥) .

وهذا التصور يُروَّجُ له بشتى الأساليب ، فثمة دعوة إلى «فكر عالمى» وهناك دعوة إلى أن الحضارة الحديثة «حضارة عالمية» وهناك دعوة إلى «ثقافة عالمية» .

---

(٤) انظر : المصدر السابق ، ص ٦٨١ مع تصرف يسير .

(٥) الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ص٦ ، ط. الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية ، بالأزهر الشريف ١٩٨٨م.

وهناك حركة «البهائية» التى نشأت سنة ١٢٦٠هـ ـ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسى ، واليهودية العالمية ، والاستعمار الانجليزى ، تزعم أنها جاءت بدين عالمى جمع : البوذية ، والبرهمية ، والزرادشتية ، والمانوية ، والمزدكية ، والفرق الباطنية ، واليهودية ، والنصرانية ، والدهرية ، وهذه الدعوة تجد رواجاً(٦) .

وهناك علماء ومفكرون ينكرون أن يكون عالم اليوم وطناً حضارياً واحداً لحضارة عالمية واحدة .. وهؤلاء العلماء يَدْعُون إلى ضرورة احترام «الحدود الحضارية» .. لأن العالم فى تصورهم : هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمى لحضاراتٍ متميزة» تشترك أممها فى عضوية هذا المنتدى ، ومن ثم فإن بينها ماهو «مشترك حضارى عام» .. وأيضاً ، فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً .. الأمر الذى ينفى الوحدة الحضارية ، ويستدعى الحفاظ على «الهويات» الحضارية المتميزة .. لا لمجرد الحفاظ عليها .. رغم أهميته .. إنما لأسباب وطنية ، وقومية ، وعقدية ، تلعب دورها فى إنهاض أمم كثيرة ، من كبوتها وتراجعها ، لما لهذه الخصوصيات ، من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم ، بالكبرياء المشروع ، والطاقات المحركة ، فى معركة الإبداع .. ولما للتعددية من دور فى إثراء مصادر العطاء العالمى(٧) .

وهؤلاء العلماء الذين ينكرون أن يكون عالم اليوم وطناً حضارياً

---

(٦) انظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٦٤ ، ط. الرياض ١٤٠٩هـ.

(٧) انظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الثقافى وهم أم حقيقة ، ص ٧ بتصرف .

واحداً لحضارة عالمية واحدة ، يذهبون إلى أن التعددية الحضارية تكشف وتعرى روح الهيمنة ، والعدوان ، والاستعلاء التى تخفيها الحضارة المتغلبة على عالمنا المعاصر .

وهى الحضارة الغربية تحت ستار «وحدانيتها .. وعالميتها .. وإنسانيتها» .

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال فى إذكاء روح المقاومة عند الأمم المستضعفة حضارياً ضد السمات والقسمات التى مثلت وتمثل «مأزق الحضارة الغربية» الذى يمسك اليوم بخناق إنسانها ، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بنى الإنسان[٨] .

وهؤلاء العلماء يعترفون بوجود : «الغزو الفكرى» ، وينبهون على مخاطره التى تعددت ، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية .

وهؤلاء العلماء : يرفضون دعوى «الوطن الحضارى الواحد لعالمنا المعاصر» ودعوى «الحضارة العالمية الواحدة» لهذا الوطن الواحد ، ويقدمون بديلًا لها : دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون إلى «منتدى عالمى لحضارات متميزة» وأن الأمم المستضعفة حضارياً لابد لها من النضال الحضارى ضد نزعة التفرد والهيمنة ، التى تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة ـ بالاستعمار القديم والجديد ـ على غيرها من الحضارات .. فالتعددية لا الواحدية ، هى الحقيقة الممثلة للواقع

---

(٨) المصدر السابق ، ص ٧ .

الحضارى ، فى الواقع الذى نعيش عليه ومن ثم فإن هناك حالات لتعدى « الحدود الحضارية » تمثل « غزواً فكرياً » لا شك فيه[٩] .

وهذا التصور يؤيده واقع حياة الشعوب ، فالذين يعايشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارات الغنية والتاريخ القديم والتراث العريق .. أو يغوصون فى تراث هذه الأمم وفلسفتها ، ومذاهبها ، وتقاليدها ، وأعرافها .. يدركون أن عالمنا به ـ حقاً ـ أمم متعددة تتميز كل منها بشخصيتها القومية والحضارية المتميزة .

وإننا إذا نظرنا فى مذاهب هذه الأمم وأعرافها ، وفى معايير الحلال والحرام ، والمشروع والممنوع لدى أبنائها ، وفى موازين الأذواق والحاسة الجمالية ، وفى تصوراتها لمكان الإنسان من الكون ، وتصوراتها لمصيره بعد الموت ، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون وماوراء المادة والطبيعة .. إذا نحن نظرنا إلى مذاهب هذه الأمم ، فى هذه القضايا الأمهات أدركنا السمات التى تمايز بينها ـ جنباً إلى جنب ـ مع سمات تشترك فيها ، فتجمع بينها[١٠] .

ولا يخفى أن الباحث الذى يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم ، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضارى .. يجد أنها تضرب بجذورها فى أعمق أعماق التاريخ .. حيث كان البابليون ، والآشوريون ،

(٩) انظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ص ٨ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٨ ، ٩ .

والفينيقيون ، والمصريون ، وغيرهم ممن أسهموا فى الفكر الإنسانى وكان لهم تمايز حضارى[11] .

ولعل نظرة فاحصة إلى أمم مثل : الصين .. والهند .. واليابان ستفضى بالباحث إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات القومية ، والمواريث الحضارية ، وطرائق العيش ، والفلسفة ، والحياة ، وفى النظرة للكون وتصوره ، لدى شعوب وأمم هذه الحضارات .

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية منذ اليونان ، وحتى نهضتها الحديثة .. والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج المواريث القديمة للشعوب التى دخلت الإسلام ـ بعد الإحياء لهذه المواريث ـ كثمرة لاندماج هذه المواريث فى الفكر الإسلامى الذى استصفاها وطورها وفقاً لمعاييره[12] . حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة ، ولكن إضافاتهم للأصول التى نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا ، وابتكروا ، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية ، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية[13] .

على أن الذى ينبغى أن نقف عنده : «أن التصور الذى يرى أن العالم

---

(11) راجع : الدكتور أحمد السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ص ٧٨ ، ط. دار اللواء بالرياض ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

(12) انظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ص ٩ ، بتصرف .

(13) انظر : الدكتور توفيق الطويل ، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية ، ص ١٥١ ط. مكتبة التراث الإسلامى مصر ١٩٩٠م.

وطناً واحداً لا غزو لفكر فيه ، تصور يقوم على انتصار الحضارة الغربية المتغلبة التى تعمل على مسخ الحضارات العريقة » .

إذن : لابد من التصور الذى يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه على المستوى العالمى الإنسانى ، وجدنا فى هذا الفكر : « ماهو مشترك إنسانى عام » لا يختص بحضارة بذاتها ، وفى هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص .

والتمييز فى الفكر بين ما هو مشترك إنسانى ، وبين ما هو خصوصية حضارية إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية .

فكل العلوم التى موضوعها الطبيعة وظواهرها ، والمادة وخصائصها ، هى من قبيل الفكر الذى هو مشترك إنسانى عام ، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمى ، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية ، هى السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم ، تلك الحقائق التى هى بنت الدليل ، والتى لا تختلف باختلاف مذاهب ، وعقائد ، وأجناس ، وفلسفات المكتشفين ، ومن ثم فهى لا تتغاير بتغاير القوميات والحضارات ، بل هى واحدة على المستوى الإنسانى ، كما أن موضوعاتها ـ المادة وظواهرها ـ واحدة هى الأخرى ، لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات ، فعلوم مثل : الرياضيات بفروعها ، والكيمياء ، والطبيعة ، والطب ، والجيولوجيا لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها ، وقوانينها باختلاف الحضارات .. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها

ومكتشفاتها ، لكن حقائق علومها أى « فكرها العلمى » سيظل واحداً ، مهما اختلفت المذاهب ، والعقائد ، والحضارات[١٤] .

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة ، ودربة ، ومرانة ، أن يصنف هذه العلوم ، وأن يحكم ما بينها من وشائج ، وأن يستفيد بما بينها من صلات ، وروابط .

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض ، ويعتمد بعضها على بعض ، ولهذا كانت الحضارات الإنسانية ليست ملكاً لأمة بعينها ، ولا هى وقف على جماعة من الناس ، لأنها صرح هائل ، قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب[١٥] .

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها ـ على نحو ما ، وإلى حد كبير ـ العديد من ثمرات التجارب الإنسانية فى الوسائل ، والنظم ، والمؤسسات ، والخبرات التى ترشد أداء الإنسان ، وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات .

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل ، فإن تجارب الإنسانية فى الوسائل ، والنظم ، والمؤسسات ، قد تكون صالحة فى أحيان كثيرة للاقتباس ـ مع التطويع ـ وللتمثل ، والاستلهام .

هذا عن العلوم الطبيعية ، والتجارب المادية ، التى تمثل حقائقها

---

(١٤) انظر : الدكتور محمد عمارة ، العزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ص١٦.

(١٥) انظر : الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ص ٩٢ .

وخبراتها فكراً عالمياً ، هو من صميم « المشترك الإنسانى » .

أما الشق الآخر من الفكر الذى يدخل فى صميم "الخصوصية" الحضارية التى تتمايز بتمايز الحضارات ، فهو ذلك الذى ينطلق من العقائد ، والمذاهب ، والفلسفات .

فكما تميزت علوم « المادة » الثابتة بالعالمية ، فغدت حقائقها وقوانينها « مشتركاً إنسانياً عاماً » تميزت علوم العقائد ، والمذاهب ، والفلسفات ، بالخصوصية الحضارية ، التى تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم ومعتقدات الشعوب ، وطرائقها فى الحياة[16] .

الغــزو الفكــرى

لقد وضح لنا : أن هناك « غزو فكرى » مقصود ، يعمل لإذابة الشعوب ، وانسلاخها عن عقائدها ، ومذاهبها ، وحضاراتها ، لتصبح مسخاً شائهاً تابعاً لغيره ، يؤمر فيطيع .. ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية وخداعها والتمويه عليها وقلب الحقائق وتشويه الحقيقة عن طريق زخرفة القول ، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف ، والاستغفال لإغرائه ، والإيقاع به ، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة ، وصحة المفهوم المزيف ، الذى تحمله كلمات الغزو .

---

(١٦) انظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ص١٧ ، ١٨ بتصرف

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال ، وتساقطت فى هاوية الضلال والانحراف والفساد الخلقى ، والعقدى ، والاجتماعى بسبب تصورات « الغزو » المزخرفة الخداعة التى يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها ، ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها .

ولكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون « الغزو الفكرى » ويصدرونه فى موجات تقتحم الديار والبيوت ، لقد قيدَت الإنسانية إلى هاوية الضلال والانحراف .

ولقد كان « للغزو الفكرى » فى كل جيل ، وفى كل عصر دوره التخريبى فى حياة الناس ، إلا أن البشرية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه « للغزو الفكرى » خبراء ، ومتفلسفون ، وأجهزة ، ومؤسسات كعصرنا الحاضر هذا ، الذى اتخذ فيه « الغزو الفكرى » صبغة الفلسفة ، والنظرية ، والمبدأ ، الذى يعتنقه الأتباع ، ويدافعون عنه ، وينقادون له .

وقضية الغزو الفكرى أصبحت اليوم من أشد القضايا خطراً ، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر فى قلوب وعقول كثير من المثقفين فى هذا العصر واضحة بينة ، والسلاح الذى يستعمله « الغزو الفكرى » مدمر قتَّال ، يؤثر فى الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع ، والصاروخ ، والطائرة ، وقد ينزل إلى الميدان ويعظم خطره حين تخفق وسائل الحديد والنار فى تحقيق الهدف ، والوصول إلى الغاية ، والخطر الذى يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير من قتل الأفراد ، بل من قتل

جيل بأسره ؛ إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة ، والسلاح الذى يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم ، والخديعة فى العرض[17] .

ومما لا ينكر : أنه لم يواجه دين من الأديان ، ولا عقيدة من العقائد ، مثل ما واجه الإسلام من تحديات ، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه ، تحديات عنيدة من مخالفيه ، فقد واجه المشركين فى مكة ، واليهود فى المدينة ، ثم لما فتحت الأمصار ، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية ، وفلسفات وثنية ، كالفلسفات : الفارسية ، واليونانية ، والهندية ، وغيرها . ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها ؛ فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملًا ، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة ، وما تحمله من شبهات ، وهى فى جملتها تعمل على نقل الفكر من مجال أصالة الفطرة ، ومنطق العقل الصحيح ، وطريق التوحيد ، وطابع الإيمان ، إلى مجال الإلحاد والإباحية ؛ غير أن المجتمع تصدى لهم ، وأخذ يكشف زيفهم ، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد ، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور .

على أن أخطر هذه التحديات هى تلك التى تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم ، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً ،

---

(١٧) راجع : إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ٧ ط. شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، العراق ١٩٨٦م.

والمستترة أحياناً ، هذا التحدى الذى يتمثل حالياً بالغزو الفكرى الغربى[18] .

أسـباب الغـزو الفكـرى

أولًا : العداء الصليبى للإسلام والمسلمين :

والباحثون يدركون أن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامى فى مرحلتين من مراحل تاريخها : فكانت مرحلة القرون الوسطى ، قبل وبعد «توماس إلاكوينى»[19] تريد اكتشاف هذا الفكر ، وترجمته .. من أجل إثراء ثقافتها ، بالطريقة التى هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

وفى المرحلة العصرية والاستعمارية ، فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى ، لا من أجل تعديل ثقافى ، بل من أجل تعديل سياسى ، لوضع خططها السياسية ، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية[20] .

---

(١٨) عز الدين الخطيب التميمى وآخرون ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣١ دار الفرقان ، عمان ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م. الأردن .

(١٩) توماس الاكوينى ولد سنة ١٢٢٦م وتوفى سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر المدرسى المسيحى ، وفى سنة ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس .

(٢٠) مالك بن نبى ، إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى ، ص٨ ،ط. دار الإرشاد ، بيروت ١٩٦٩م .

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوربية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

الدافع الأول : دافع الدين ، والعصبية العمياء التى أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوربا ، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات ، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار ـ أى المسلمين ـ فكانت جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية ، وقوة عقيدة ، إلى حيث يلاقون الموت ، والقتل ، والتشريد ، حملة بعد حملة ، وجيشاً بعد جيش .

والدافع الثانى : دافع سياسى استعمارى ، فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة ، وثروات ، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح ، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة[٢١] .

ويكاد يكون معروفاً أن أوربا شنت ثمانى حملات صليبية على الشرق الإسلامى ، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادى عشر ، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر (أى ما يقرب من مائتى وخمسة وعشرين عاماً) فى ثمانى حملات من الحملات المدججة

---

(٢١) الدكتور مصطفى السباعى ، السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص١٨٧ ، ١٨٨ ط. دار المكتب الإسلامى ، بيروت ودمشق ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

بالعدد والمعدات ، ويصف كاهن مدينة (لوبوى ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس . فيقول : «حدث ما هو عجيب بين العرب ـ عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ـ فقطعت رءوس بعضهم ، فكان أقل ما أصابهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وحرق بعضهم فى النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لا يرى فى شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رءوس العرب وأيديهم وأرجلهم ، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه»[٢٢] .

وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر ـ رضى الله عنه ـ ويقول فى هذا : «لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان ، فكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها ، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها ، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة»[٢٣] .

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥

---

(٢٢) انظر : د. غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٢ ، ٤ ترجمة عادل زعيتر ط. الثانية ١٩٤٨م.

(٢٣) لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامى ، ج ١ ص ٦٠ ، ترجمة نويهض .

مايو عام ١٠٩٩ م قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء ، وفى انطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم .

فالأمر خطير ، إنه حقد الشر على الحق ، والرذيلة على الفضيلة ، وعداوة الشرك للتوحيد ، وخصومة الضلال للهدى[٢٤] .

وقد صمدت الأمة الإسلامية فى وجه هذه الحروب الوحشية التى سلبت ، ونهبت ، وقتلت ، وفتكت .

وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية أشتد وطيسها بين كتائب الإيمان وبين جحافل الشر ، ارتدت الحروب الصليبية ، وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة ، فالقديس « لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة ، وملك فرنسا ، وقع أسيراً فى مدينة « المنصورة » فى مصر ، ثم خلص من الأسر بفدية ، ولما عاد إلى فرنسا ، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدى نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة ، تدفعهم إلى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس ، وبكل غالٍ .

إذن : لا بد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته : أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم ،

---

(٢٤) راجع نادية شريف العمرى ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ١٦٤ ط . مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ بيروت .

وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر[٢٥] ، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم لا يمكن أن يأتى عن طريق القوة المادية ، والغزو المسلح .

ولقد بدأت حركة « الغزو الفكرى » من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة ـ كما وجههم « لويس التاسع » ـ والعمل على ترجمة القرآن ، والسنة ، وعلوم المسلمين ، للبحث عن الثغرات التى يدخلون منها إلى إثارة الشبهات ، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول ، وأن أكبر غاية لهم هى ضرب وهدم قواعده »[٢٦] لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية .. لكن بقى « الغزو الفكرى » ينفث سمومه ، ويثير الشكوك ، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الدبلوماسية ، والرياء السياسى ، تحرك ما تريد تحريكه ، وتقف خلف الغزو الفكرى ، بكل ما لها من قوة ، وعلم ..

ولا شك أن العداء الصليبى للإسلام ، هو الدافع الأساسى والأصيل ، للغزو الفكرى الذى تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية ، ونجد أن هذا العداء أخذ « شكل السعار الوبائى » ، لدى

---

(٢٥) إبراهيم النعمة ، الإسلام أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ١٢ .

(٢٦) أنور الجندى ، المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى ، ص ١٢٦ ، ط . دار الإعتصام بالقاهرة ١٩٨٢ م .

الأمم الغربية « الصليبية » فأخذوا مستميتين يوزعون المسموم ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، ويفترون الأكاذيب ، ويطمسون الحقائق ، ويدبرون المكائد ، ويتصيدون السقطات ، ثم يدخلون فى روع أنفسهم ، وبنى جلدتهم أنهم أرق عنصراً ، وأفضل عقلًا ، وأفلح ديناً ، وأنهم أوصياء على البشرية ، وسادة الإنسانية ، وهداتها ، ومرشدوها[٢٧] .

وقال « وليم غيفورد بلغراف » الانجليزى المسمى بالحرباء الكلمة المشهورة التى يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام : « **متى توارى القرآن ، ومدينة مكة ، عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى ، يندرج فى سبيل الحضارة ، التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه** »[٢٨] .

و « جلاد ستون » رئيس وزراء بريطانيا يقول : « **مادام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان** »[٢٩] .

ويرى غاردنر : « **أن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوربا** »[٣٠] .

---

(٢٧) الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

(٢٨) انظر : المصدر السابق .

(٢٩) نادية شريف العمرى ، أضواء على الثقافة الإسلامية ص ١٦٧ .

(٣٠) عبدالرحمن حسن حنبكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ١٣ ، ط. بيروت دار القلم ١٩٧٧ .

ويوضح هذا العداء ، ويذكر بعض اسبابه المستشرق بيكر ، فيقول : « إن هناك عداء من النصرانية للإسلام ، بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى ، أقام سداً منيعاً فى وجه الاستعمار ، وانتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها »[٣١] .

ويقول فى هذا المعنى « لورانس بروان » : « إن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الغربى[٣٢] ، ثم بين « لورانس بروان » إن خطر المسلمين هو الخطر العالمى الوحيد فى هذا العصر ، الذى يجب أن تجتمع له القوى ، وتجيش له الجيوش ، وتلتفت إليه الأنظار ، فيقول حاكياً آراء المبشرين : « إن القضية الإسلامية تختلف عن القضية اليهودية ، أن المسلمين يختلفون عن اليهود فى دينهم ، إنه دين دعوة ، إن الإسلام ينتشر بين النصارى أنفسهم ، وبين غير النصارى ، ثم إن المسلمين كان لهم كفاح طويل فى أوربا ، فاخضعوها فى مناسبات كثيرة ، على أن الفرق الأساسى بين المسلمين واليهود ــ كما يراه المبشرون ــ هو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطوءة بالأقدام » .. ثم يقول : « إننا من أجل ذلك نرى المبشرين ينصرون اليهود على المسلمين فى فلسطين . لقد كنا نخوف من قبل

---

(٣١) انظر : المصدر السابق ، ص ٧٠٥ .

(٣٢) راجع المصدر السابق ص ٧٠٥ وانظر عمر فروخ والخالدى ، التبشير والاستعمار ص ١٨٤ ط. المكتبة العصرية بيروت .

بالخطر اليهودى ، والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفى ، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق (لم نجده ولم يتحقق) كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مُضْطَهد لهم[٣٣] عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر ، فإن هناك دولًا ديمقراطية كبيرة ، تتكفل بمقاومتها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام[٣٤] .

ولقد اشترك الاستعمار الغربى ، والجهد التبشيرى ، والحقد الصليبى ، فى حرب المسلمين ، وتشتيت تراثهم ، ونهب ديارهم ، يخيم عليهم سحابة سوداء من البغضاء والكراهية ، يتمثل هذا فيما حدث فى عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبى القدس ، وأعلن : «الآن انتهت الحروب الصليبية» كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوربية ، الروح الصليبية التى ظلت متوهجة فى أعماقهم طوال تلك الحقب ، وبنفس الحقد الذى صدر عن الجنرال الإنجليزى ، كان مسلك الجنرال الفرنسى « غورو » قائد الجيش الفرنسى فى دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين ، بعد أن جاءه راكباً سيارة مكشوفة ، وترجل إلى القبر ، وقال قولته المشهورة : « نحن هنا يا صلاح الدين » وفى اليوم التالى عمل الشيء نفسه فى حمص ، حيث ذهب إلى قبر

---

(٣٣) الواقع أن اليهود لم يضطهدهم المسلمون ، ولكنهم هم الذين يضطهدون المسلمين ويتآمرون عليهم .

(٣٤) انظر : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٦ ، وانظر عمر فروخ والخالدى ، التبشير والاستعمار ص ١٨٤ .

« خالـد بن الوليـد » ـ رضى الله عنـه ـ وقـال : « نحن هنـــا يا خالد »[٣٥] .

هذا الحقد والضغن والمقت كان سبباً قوياً فى الإغارة على المسلمين بشتى الأساليب والطرق والأشكال والألوان ، ومازالت تلك الموجة تعلو وتشتد وتمتد ثقافيـاً وفكريـاً ، لتخـريب قواعـد الإسلام ، والأخلاق الإسلامية ، وإشاعة الأفكـار ، والتيـارات الهدامـة[٣٦] ، وشغل الأمة الإسلامية بكل ما هو هامشى فى حياتها ، حتى لا تدرك اليقظة الواعية ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها .

لقد وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامى وإخضاعه ، هو سلوك الغزو الفكرى ؛ فوضعوا الخطط ، وحاكوا المؤامرات للإغارة على الأفكار ، والمفاهيم الإسلامية ، وعلى كل ما له صلة بالإسلام ، حضارة وثقافة ، وصارت قاعدتهم التى ارتكزوا عليها : « إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ، ينتحر به ، ومن ثم تستعبده » .

وانطلقت الصيحة إلى ضرورة نقل المعركة من ساحة الحرب ، إلى

---

(٣٥) انظر : الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٧ .

وانظر كذلك : نجيب الكيلانى ، الإسلامية والقوى المضادة ، ص ١٤٢ ، ط . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ .

(٣٦) راجع : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٧ . راجع أنور الجندى ، المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر ، ص ٢٨٦ .

ميدان الفكر والمعرفة[٣٧]؛ فأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته ، سعياً وراء هدم عقائده وأفكاره ، ونشر الأفكار الغربية بديلًا عنها .

ولاشك أن الغزو الفكرى أعمق أثراً ، وأشد فتكاً فى حياة الأمة من الغزو المسلح ؛ لأنه يتسلل إلى عقولها وقلوب أبنائها ، ذلك أن الأمم تقاس بمقوماتها العقدية ، والفكرية ، وقيمها الخلقية .

فالغزو الفكرى الأخلاقى أخطر من الغزو المادى المسلح ، لأنه يمضى بين الناس فى صمت ونعومة وخفاء فى الأهداف ، مما يجعل الناس ــ تدريجياً ــ يتقبلون كل جديد ، ولو خالف قيمهم ، وعقائدهم ، وأفكارهم ، دون معارضة ، ويتقبلون الذوبان فى بوتقة أعدائهم وهم ينظرون ولا يشعرون[٣٨]..

وإذا كان العداء الصيلبى للإسلام والمسلمين سبباً رئيسياً دفع بالغرب إلى « الغرور الفكرى » للمجتمعات الإسلامية فإن هناك أسباباً أخرى ــ غير العداء الصليبى ــ ساعدت على انتشار « الغزو الفكرى » وعملت على هزيمة المسلمين أمام هذا الغزو ، ونجد ذلك واضحاً فى ثانياً ..

---

(٣٧) انظر : عز الدين الخطيب التميمى وآخرين ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٣٣ .
وراجع عبدالرحمن حسن حنبكة الميدانى ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ١٤ .
(٣٨) انظر : عز الدين الخطيب التميمى وآخرين ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٣٤ .

ثانياً : الاستعمار الغربى للمجتمعات الإسلامية :

لقد تعرض المجتمع الإسلامى فى آسيا ، وإفريقيا ، للطابع الأيديولوجى للمجتمع الأوربى ، سواء الحديث منه فى القرن التاسع عشر ، أو المعاصر فى القرن العشرين ، ولم تكن للمجتمع الإسلامى مناعة فى رفض هذا الطابع وتحديه وعدم تقبله .

فتعرض للغزو الأوربى من أجل الصناعة الغربية ، منذ أثمر عهد النهضة الأوربية ثمرته فى التحرر والخلاص من سلطة الكنيسة ، وفى استرداد الإنسان الأوربى حرية الحركة فى التجارة ، وفى شئون المال على العموم ، وحرية التفكير والتوجيه السياسى(٣٩).

وكان الوضع فى البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب المجتمع الأوربى بالمجتمعات الإسلامية ، وانقضاضاً عليها من جانب ، بينما كان استسلاماً من أى مجتمع إسلامى ، تعرض للتربص والانقضاض ، وقبولًا للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوربى من جانب آخر(٤٠)، ومما هو مسجل فى صفحات التاريخ : أن المجتمع الإسلامى وقع فريسة للاستعمار ، فقد احتلت بريطانيا : الهند فى سنة ١٨٥٩ م ومناطق الخليج الإسلامى ، وجنوب شبه الجزيرة العربية فى سنة ١٨٤٩ م ، ومصر فى سنة ١٨٨٢ م ، والسودان فى سنة ١٨٩٨ م .

---

(٣٩) انظر : الدكتور محمد البهى ، الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ، ص ٥١ ، ٥٢ بتصرف ، ط . دار الفكر ، ١٩٧٣ م .

(٤٠) المصدر السابق ص ٥١ .

واحتلت فرنسا : الجزائر فى سنة ١٨٤٥ م ، وتونس فى سنة ١٨٨١ م ، والمغرب فى سنة ١٩١٢م .

واحتلت إيطاليا : طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١ م .

واحتلت هولندا : جزر الأرخبيل الإندونيسية تباعاً منذ عام ١٩٠٣م.

وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر فى سنة ١٨٧٣ م وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية فى وسط آسيا ، وهى : أذربيجان ، وكازاخستان ، وأوزبيكستان ، ونور كيستان ، وكِرْيخستان .. سيطرة تامة فى القرن التاسع عشر ، ولم يسلم من الاحتلال الأوربى سوى : اليمن ، والحجاز ، وإيران ، ووسط تركيا[٤١].

ولا يخفى أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية ، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية ، وكلما قوى المجتمع الأوربى وتفوق صناعياً ، كلما زادت رقعة استعماره فى قارة إفريقيا وقارة آسيا ...

وكلما زادت قبضة أوربا على ما تم استعماره ، وكلما اتسع نفوذها السياسى والاستغلالى ، كلما زاد ضعف المجتمع الإسلامى الذى وقع تحت سلطة الاستعمار ، وزادت تبعيته وتقبله لما يأتى من الغرب .

ويوم أن تحرك المجتمع الأوربى لاستعمار المجتمعات الإسلامية كان فى

---

(٤١) راجع هامش ص ٥٢ من المصدر السابق .

قمة نشوته ، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة ، واستقلاله بالسلطة ، وبالحرية الفردية فى التفكير ، والتوجيه ، وبالحرية السياسية ، كما كان فى أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية ..

استصحب الاستعمار معه هذا الاتجاه بما يستتبعه فى الحكم ، والتوجيه ، والتشريع ، والاقتصاد ، فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه .

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية ، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه فى المجتمع الإسلامى ، وهو مجتمع يغاير فى خصائصه ، وتاريخه ، وواقعه .. المجتمع الأوربى ، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكِّنه من هذا التطبيق ، وهو طريق عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه ، وعن تراثه العقلى ، والروحى ، والتوجيهى ، والسلوكى ..

فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة ، وطيِّعة للمستعمر ، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة[٤٢].

ثالثاً : تقدم الغرب العلمي :

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً ، وتقدماً مادياً هائلًا ، وعبقرية تنظيمية مبدعة ، وروحاً من الجلد والصبر على العمل

(٤٢) راجع المصدر السابق ، ص ٥٤

والإنتاج ، وروحاً عملية فى مواجهة المشكلات سواء منْ ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ(٤٣).

ولاشك أن التقدم العلمى المذهل للغرب ، كان قوياً دفاقاً ، له من القوة والانتشار والاستيلاء ، ما بهر العقول ، وفتن الألباب ، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمى عرفه العالم ، وسمعت عنه البشرية فى التاريخ المترامى الأطراف ، واستطاع أن يُخْرِج من الأسرار ، ويكشف من الاختراعات ، ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به(٤٤) ، وخاصة أن هذا العلم أصبح فى خدمة الإنسان ، فى كثير من مناحيه ، فاتجهت الأنظار ، والعقول ، والقلوب إلى الغرب تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتى بجديد(٤٥).

لقد واجه العالم الإسلامى تقدم الغرب العلمى ، وجهاً لوجه ، وهذا التحدى السافر على طريق واحد ، وهو صاحب الحضارة العريقة ، والرسالة الدينية الخاتمة ، وصاحب الهداية للبشرية بعدما انسحبت كل الديانات والمذاهب القديمة ، متوارية من نوره الوهاج ، وحجته المشرقة ، وصاحب الرقعة الواسعة ، والثقافة المنتشرة ، والقوة الكبرى التى كان يحسب لها ألف حساب ، فكان تحدى

---

(٤٣) انظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص ٣٤٣ ط . مؤسسة المدينة ، جدة ١٤٠٧هـ .

(٤٤) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٨٥ .

(٤٥) د. أحمد السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ص ١٥٠ .

الحضارة المادية الآلية للعالم الإسلامى أعظم من تحديها لأى أمة ، ولأى حضارة ، ولأى ثقافة ، وقد صاحب تلك الحضارة مذاهب فكرية ، وفلسفات مادية ، ونظم سياسية ، واقتصادية ، وعمرانية ، واجتماعية ، وخلقية ، وكان لابد أن ينظر الناس ـ وبخاصة الشعوب المتخلفة ـ إلى هذه المذاهب ، والفلسفات ، والنظم ، نظرة تقدير واحترام ، لأنها نتاج تلك الشعوب المتقدمة ، وحصاد تلك الأمم المتطورة التى فتتت الذرة ، وصنعت الطائرة والصاروخ ، وأدارت الأقمار[٤٦] وغزت الفضاء ، لتراقب سلوكيات الإنسانية كلها ـ وبخاصة تحركات المجتمعات الإسلامية ـ ولتكتشف من الفضاء الواسع ، ما يزيدها من العلم تمكيناً ، وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوربية ، والتقدم العلمى والصناعى ، واستطاع الغرب أن ينقل الانتاج المادى إلى المجتمعات الإسلامية فى إفريقيا وفى آسيا ، لاستخدام هذا الانتاج فى تيسير الحياة ، والتغلب على صعوبات المشاق التى تصحب عادة الحياة الإنسانية المتخلفة ، أو البدائية ، وذلك ليكون شواهد مادية ، ترى وتختبر فى التطبيق وفى واقع الحياة[٤٧].

رابعاً : الضعف الفكرى ، والتفكك الاجتماعى :

لقد أصيب المجتمع الإسلامى بالضعف الفكرى ، والتفكك

---

(٤٦) الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٦٨٦ .

(٤٧) الدكتور محمد البهى ، الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ، ص ٥٤ .

الاجتماعى ، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر والضعف الفكرى كأكثر ما أصيبت به أمة من الأمم ، أو مجتمع من المجتمعات .

والتفكك الاجتماعى نتيجة حتمية للضعف الفكرى ، لأن الضعف الفكرى لا يكشف للإنسان مخاطر الانزلاق فى الهاوية ، ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بالطوائف المتعددة والمتناحرة ، والمذهبية التعصبية ، وتعدد السلطنات والدويلات التى قامت على أساس شعوبى أو مذهبى ، فى هذا المجتمع أو ذاك .

وهذا كله جر المجتمع الإسلامى إلى فوضى قاتلة ، وتناحر حقيقى ، وسلب ونهب وقتل دون رادع أو وازع .. ومجتمعاً كهذا لابد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به .

لقد كانت السلطة السياسية فى المجتمعات الإسلامية تعيش فى وضع مقلوب « وفى ذلك الوضع لابد أن تكتمل الصورة المقيتة لأى امبراطورية على وشك السقوط ، بغض النظر عن اللافتة التى ترفعها سواء كانت إمبراطورية فارسية ، أو بيزنطية ، أو رومانية ، أو عباسية ، لابد أن تتفشى الرشوة ، وتكثر مصادرة الأموال ، وتتفاقم الاضطرابات الداخلية ، مع الانحلال الخلقى ، والانشغال بالتوافه عن الخطر الذى يدق الأبواب »[٤٨] .

وأساس انهيار الأمم يبدأ من الداخل ، وقد يأتى تدخل خارجى

---

(٤٨) انظر الشيخ محمد الغزالى ، تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل ، ص ١١٠ ، ط . دار الشروق ، بيروت .

ليعجل بالسقوط ، ولكن يظل الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الأكبر ، ويأتى الانهيار الداخلى حين تتكون طبقة مترفة تتحكم فى الثروة ، وفى الجماهير ، فتنشر الظلم ، والانحلال ، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة »[٤٩].

لاشك أن الأمة الإسلامية عاشت فترات من حياتها ، كانت سبباً فى تأخرها وغفلتها ، وطمع الطامعين فى مجتمعاتها .

وأى أمة تضعف فى أفكارها ، ولا تعرف إلا القشور من أمرها ، وتعيش فى تناحر وتمزق ، لابد وأن تسقط ، وينال منها من كان يهابها .

خامساً : تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة :

إن المجتمعات الإسلامية ، حين أصابها الضعف الفكرى والتفكك الاجتماعى ، انشغلت بالتافه من الأمور ، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم ، والتقدم ، والحضارة .. ومعنى هذا ، أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التى تدعو إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل ، والفكر ، فى كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم « وواكب هذا الانصراف انحطاط فى القيم ، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال ، إلى حد السفه ، والجنون ، والترف ، والفجور حتى كان قادة هذا الركب فى كل نادٍ ، وكل صحيفة ، مع جهل ضارب ، ونفاق ناشب أظفاره ،

(٤٩) راجع المصدر السابق ، ص ١١٣ .

وفساد فى كل مجتمع ونادٍ ، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة ، وخراب للذمم ، وبيع للشرف ، وكره للقيم ، وضياع للحق ، وهضم للحقوق ، وذبح للفضيلة »[٥٠].

وكان وضع البلاد الإسلامية كما صوره شاعر تركيا الإسلامى الكبير محمد عاكف : « يسألنى الناس انك كنت فى الشرق مدة طويلة ، فما الذى شهدت يا ترى ، وما عسى أن يكون جوابى ؟ إننى أقول لهم : إننى رأيت الشرق من أقصاه ، فما رأيت إلا قرى مقفرة ، وشعوباً لا راعى لها ، وجسوراً متهدمة ، وأنهاراً معطلة ، وشوارع موحشة ، رأيت وجوهاً هزيلة متجعدة ، وظهوراً منحنية ، ورءوساً فارغة ، وقلوباً جامدة ، وعقولًا منحرفة .

رأيت الظلم ، والعبودية ، والبؤس ، والشقاء ، والرياء ، والفواحش المنكرة والمكروهة ، والأمراض الفاشية الكثيرة ، والغابات المحرقة ، والمواقد المنطفئة الباردة ، والحقول السبخة القاحلة ، والصور المقززة ، والأيادى المعطلة ، والأرجل المشلولة ..

رأيت أئمة لا تابع لهم ، ورأيت أخاً يعادى أخاه ، ورأيت نهاراً لا غاية له ، ولا هدف ، ورأيت ليالى حالكة طويلة ، لا يعقبها صباح مسفر ، ونهار مشرق[٥١].

---

(٥٠) راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة العربية ، ص ٦٩٦ .

(٥١) راجع المصدر السابق ، ص ٦٩٦ وانظر ابن الحسن الندوى ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٣٥ .

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس ، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق فى الشعوب الإسلامية ، وجعلها تعتمد فى كل شيء على غيرها .

إن التخلف العقلى لا يكمن فى عدم الذهاب إلى الجامعات ، واكتساب المعارف فقط ، بقدر ما يكمن فى التبلد ، والخمول ، والنوم ، والرضاء بالدون ، وموت الهمة[٥٢]..

ومن المؤكد أن الأمة التى تفضل أو ترضى بالتواكل ، والاستجداء ، والكسل ، والتبعية ، أمة لا تستحق الحياة الكريمة ، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن ، والثمن هو التضحية ، ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها فى الحياة ، وأن تستعيد وجودها وكرامتها ، وتعيد صنع حياتها ، دون أن تحاول جاهدة أن تبنى نفسها بناءً يتفق مع الاعتداد بالذات ..

وقد يكون من المسلمات البديهية :

أن ضعف الأمة فى جوهره وجذوره ، ليس ضعفاً فى قوة الدفاع ، أو فى القوة العسكرية ، وإنما يكمن فى ذل النفوس ، وشعورها بالضعف .

وقد يكون من المسلمات البديهية أيضاً :

أن فقر الأمة فى جوهره وجذوره ليس فقراً فى السلاح

---

(٥٢) انظر الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة العربية ، ص ٦٩٨ .

والمعدات ، أو فقراً فى المال والإمكانات ، وإنما يكمن فى فقر النفوس وعجزها ، وضعف الإرادة واضطرابها[٥٣]..

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة ، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط ، ويقودها طائعة إلى الهلاك كما تقاد الشاة إلى حتفها بظلفها ، ولذا كان هذا التخلف عاملًا من عوامل الغزو الفكرى الذى اجتاح البلاد والعباد ..

سادساً : الفراغ العقدى :

من المؤكد لدى الباحثين ، أن العقيدة هى الأمر الذى تثق به النفس ، ويطمئن إليه القلب ، ويكون يقيناً عند صاحبه ، ولا يمازجه شك فيه ، ولا يخالطه ريب . ويذكر العقاد : أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، إنما نعنى بها حاجة النفس ، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره ، إنما نعنى بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرءوس أو الصفحات[٥٤].

إن العقيدة التى يصح أن توصف بالعقيدة الدينية ، هى التى لا يستغنى عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منها ، بمعتصم ، واستقر فيها على قرار[٥٥].

(٥٣) انظر : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، معارك حاسمة فى حياة المسلمين ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ط. دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ .

(٥٤) عباس محمود العقاد ، العقائد والمذاهب مجلد رقم ١١ ، ص ٤٠٢ ط. دار الكتاب اللبنانى ، بيروت .

(٥٥) المصدر السابق ص ٤٣١ .

ومن يتأمل العقيدة الإسلامية ، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم ، تناولت معضلات الحياة يحس بالإطمئنان ، ويتخلص من الحيرة التى تواجه كثيراً من المفكرين[٥٦].

والحقيقة التى أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث ، والخطوب ، والمحن ، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الشاملة ، والعقيدة المثلى للإنسان ، والمجتمع ، رعاية للروح والجسد ، وعمل للدنيا والآخرة ، وجهاد فى السلم والحرب ، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم .

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة .. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد وتطهر نفسه .. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك ، ويترفع وينهض ..

فالفرد بغير عقيدة كالريشة فى مهب الريح ، تحوله يميناً وشمالًا ، فلا يسكن له حال ، ولا يستقر له قرار ، وليس له جذور تثبته[٥٧] .

والعقائد فى الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة ، أو المذاهب المقتحمة ، وتعطى أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد ، كما

---

(٥٦) انظر : الدكتور أحمد السايح ، عباس محمود العقاد ، فيلسوفاً ، رسالة « ماجستير » ص ١٦٦ .

(٥٧) انظر : محمد أمين حسن ، خصائص الدعوة الإسلامية ، ص ٢٥٧ ط. مكتبة المنار ، الأردن – وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح ، العقيدة والإنسان ، مجلة الخفجى ، السنة العشرون ، العدد الأول ، ص ٤ ، ٥ ، ابريل ١٩٩٠م السعودية – وانظر : كذلك أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص ٢١٨ ، ط. دار الكتاب العربى ١٤٠٤هـ .

تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان فى الحياة . أما إذا تركت الأمم عقائدها ، وتخلفت عن غذائها الروحى ، وعن عمقها الإيمانى[٥٨] ، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب ..

والباحث فى أحوال الشعوب الإسلامية : يجد أنها لم تحسن التخطيط ، ولم تستفد من الدروس ، فانطلقت فى سبيل الشهوات والملذات ، والطوائف ، والاختلاف ، وتركت تعاليم الإسلام التى تدعو إلى الفكر ، والعلم ، والحضارة .. فكأن ما كان ..

لقد اتضح لنا ، أن « الغزو الفكرى » الذى تعرضت له شعوب الأمة الإسلامية ولازالت تتعرض ، قام على أسباب وبواعث دفعت بالغزو الفكرى إلى تكالب مسعور ، وكان فى الإمكان أن ترد الهجمة الشرسة ، ولكن كانت هناك عوامل تنتشر فى المجتمعات الإسلامية ساعدت على توغل الغزو الفكرى وانتشاره بين الناس .

وقد سبق أن ــ ذكرنا ــ أن من عوامل وأسباب « الغزو الفكرى » :

- **العداء الصليبى للإسلام والمسلمين .**
- **الاستعمار الغربى الذى أصاب بعض المجتمعات الإسلامية .**
- **تقدم الغرب العلمى .**
- **الضعف الفكرى والتفكك الاجتماعى الذى أصاب المسلمين .**
- **الفراغ العقدى الذى دلت عليه سلوكيات المسلمين .**

---

(٥٨) الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠١ ، ٧٠٢ .

وقد تكون هناك أسباب أخرى : داخلية أو خارجية ، عملت على تمزيق الأمة الإسلامية وقتل روح الأصالة فيها والتجديد ، والقدرة على مواجهة التحدى .

ولا يخفى أن التعرف على الأسباب ، قد يدفع بالعلماء ، وقادة الفكر إلى تشخيص الداء ، وبذل الدواء ، وإذا عرف التحدى أمكنت المواجهة ، وإذا كانت معرفة أسباب الغزو الفكرى تقف بالمسلمين على محطات إنطلاق ، فإن معرفة مظاهر الغزو الفكرى تساعد على التبصر بالمواقع والمواقف .

مظاهر الغزو الفكرى

مظاهر الغزو الفكرى كثيرة ومتعددة ، وتكاد تشمل جميع جوانب الحياة ، وهذه المظاهر لم تكن إلا بناء على دراسات دقيقة لأحوال المجتمعات الإسلامية .

لقد خطط أعداء الأمة الإسلامية ، وتدارسوا الأمر فيما بينهم ، ووضعوا مخططات تنفذ بكل دقة ، وتوالت مظاهر الغزو الفكرى تنتشر بين المسلمين ، يساعد على ذلك أمران :

الأمر الأول : موالاة بعض حكام المسلمين للغرب .

والأمر الثانى : الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها .

ولولا هذه المساعدة ، لكان من الصعب على مظاهر الغزو الفكرى أن يستشرى خطرها .

وقد نجح الغزو الفكرى فى إعداد بعض « كوادر » تتولى القيادة ، وإدارة أمور المجتمعات ، وكانت الدعاية للنظم الغربية والتغرير بها تدفع الناس إلى قبول ما يأتى من الغرب ـ أياً كان .

ومظاهر الغزو الفكرى يلمسها المراقب والباحث فى كثير من القضايا ، مثل :

١ ـ حملات التشويه .
٢ ـ إحياء النزعات الجاهلية .
٣ ـ إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة .
٤ ـ التعليم والثقافة .
٥ ـ الخدمات الاجتماعية .

أولًا : حملات التشويه :

فإذا ما بحثنا فى حملات التشويه ـ والتى كانت مظهراً من مظاهر الغزو الفكرى ـ وجدنا أن هذه الحملات ، مست كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ، ونظم ، وتراث ، وتاريخ ، وفكر ، وحياة .

١ ـ فهناك **محاولة تشويه عقائد** المسلمين ، بغير سند ولا دليل ، يقول رينان الفرنسى ، يصور عقيدة التوحيد فى الإسلام « بأنها عقيدة تؤدى إلى حيرة المسلم . كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك »[٥٩].

---

(٥٩) انظر : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية ، مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٠٨ .

ودائرة المعارف الإسلامية فى طبعتها الجديدة التى لم تترجم إلى اللغة العربية ، تعرض تحت مادة « ابن تيمية » أن ابن تيمية كان مسرفاً فى القول بالتجسيد ، ومن ثم كان يفسر كل الآيات والأحاديث التى تشير إلى الله بظاهر اللفظ ، وقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أن ابن بطوطة يروى عنه أنه قال من منبر جامع دمشق : « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ثم نزل درجة من درج المنبر »(٦٠).

٢ ـ وهناك **محاولة تشويه القرآن الكريم** ، وهى محاولة قديمة وحديثة ، وهذه المحاولة كغيرها بعيدة عن العلم والمنطق .

يقول المستشرق جب :

« إن محمداً قد تأثر بالبيئة التى عاش فيها ، وشق طريقه بين الأفكار ، والعقائد الشائعة فى بيئته ، فالقرآن من صنع محمد ـ ﷺ ـ ومن ملاءمات هذه البيئة التى عاش فيها »(٦١).

٣ ـ وهناك **محاولة تشويه السنة النبوية** ، وهى محاولات ضاربة عميقة الجذور فى تاريخ الحرب ضد الإسلام ، وهى محاولات تستهدف ما تستهدفه محاولات تشويه القرآن الكريم ، من عزل المسلمين عن دينهم ، بتشويه مصدريه الأساسيين : القرآن ، والسنة .. وهى

---

(٦٠) انظر : عبد العزيز على المحويتى ، مجلة المنهل ع٤٨٥ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، جمادى الآخرة ١٤١١هـ ، جدة ، السعودية .

(٦١) انظر : الدكتور على عبد الحليم محمود ، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٢٩ ، جامعة الإمام ١٤٠١هـ .

حزب دخلت على المسلمين حديثاً عن طريق الغزو الفكرى ، **وقد جند أعداء الإسلام لتشويه السنة ما جندوا من أقلام ، وكتب ومجلات ، وبحوث .**

ومجمل محاولات الأعداء :ـ

● الادعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى ﷺ .

● والادعاء بأن محاولة وجود شىء فى الحديث النبوى يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبى ﷺ تاريخياً ، محاولة فاشلة .

● الادعاء بأن الفرق الإسلامية عندما اختلفت فى الآراء أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التى يؤيد بها رأيه .

● الادعاء بأن الأحاديث النبوية ليست إلا سجلًا للجدل الدينى فى القرون الأولى[٦٢].

٤ ـ وهناك **محاولة تشويه شخصية الرسول محمد** ﷺ ، وهى محاولات قديمة وحديثة ومستمرة ، تهاجم رسول الله ﷺ ، وتحاول أن تنال من شخصه ، **ومن هؤلاء الأعداء الحاقدين على الإسلام الذين تطاولوا على شخصية الرسول الصادق الأمين :**

١ ـ وليم موير فى كتابه : « حياة محمد » .

٢ ـ هنرى لامنس اليسوعى فى كتابه : « الإسلام » ، وقد بلغ من

---

(٦٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

حقد هذا الرجل على الإسلام أن تخبط فيما يكتب إلى الحد الذى أزعج بعض المستشرقين أنفسهم .

٣ ــ ألفرد جيوم فى كتابه : « الإسلام » .

٤ ــ صمويل زويمر فى كتابه : « الإسلام تحد لعقيدة ».

٥ ــ كنبثكراج فى كتابه : « دعوة المئذنة » .

٦ ــ ا.ج.أربرى . فى كتابه : « الإسلام اليوم ».

٧ ــ جولد زيهر . فى كتابه : « تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى »

٨ ــ هـ أ.ر.جب فى كتبه :

(أ) طريق الإسلام .

(ب) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام .

(جـ) المذهب المحمدى .

(د) الإسلام والمجتمع الغربى .

٩ ــ أ.ج. فينسنك . فى كتابه : « المستشرقون والإسلام » .

١٠ ــ د.س. مرجليوث . فى كتبه :

(أ) محمد ومطلع الإسلام .

(ب) التطورات المبكرة فى الإسلام .

(جـ) الجامعة الإسلامية .

(د) قنطرة إلى الإسلام .

١١ ــ ج.فون. جرونبام . فى كتبه .

(أ) إسلام العصور الوسطى .

(ب) الإسلام .

(جـ) الأعياد المحمدية .
(د) الوحدة والتنوع والحضارة الإسلامية .
(هـ) دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية .

١٢ ـ د.ب. ماكدونلد . فى كتابه : « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام » .

١٣ ـ ر.ا. نيكلسون . فى كتابه « متصوفو الإسلام » .

١٤ ـ ر.بل. فى كتابيه :
(أ) أصول الإسلام فى بيئته المسيحية .
(ب) مقدمة القرآن .

١٥ ـ آثر جيفرى : فى كتابه : « مصادر تاريخ القرآن » .

١٦ ـ يوسف شاخت . فى كتابه : « أصول الفقه الإسلامى » .

١٧ ـ ارنولد توينبى . فى كتابه : « دراسة فى التاريخ » .

١٨ ـ فيليب حتى ، وهو مسيحى لبنانى . فى كتابه : « تاريخ العرب » .

١٩ ـ مجيد خورى ، وهو مسيحى عراقى . فى كتابه : « الحرب والسلام فى الإسلام » .

٢٠ ـ ابراهام كاش . فى كتابه : « اليهودية فى الإسلام » .

٢١ ـ ادوارد فرمان . فى كتابه « تاريخ المسلمين وفتوحاتهم » .

٢٢ ـ ج.س. آرثر . فى كتابه : « العناصر الصوفية فى محمد » .

٢٣ ـ د. بلاشير . فى كتابه « مقدمة القرآن » .

٢٤ ـ سنوك هورج رونجد . فى كتابه : « الإسلام »[٦٣].

وغير هؤلاء كثير .. وما أردنا الإحصاء أو الإستقصاء .. وكل هؤلاء حاولوا تشويه الإسلام ، ونالوا من شخص الرسول ﷺ ، فيما كتبوا ، وافتاتوا على الحق ، وموهوا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً بأصوات الباطل ، وهراء الجاهلين ، وسموم الحاقدين[٦٤].

٥ ـ وهناك **محاولة تشويه التاريخ الإسلامى :** وهذه المحاولة من أخبث المحاولات وأكثرها خبثاً ومكراً ، فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار ، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر وسفك للدماء ، وغير ذلك كثير مما لا يقره عقل ولا دين .

٦ ـ وهناك **محاولة تشويه التراث الإسلامى** ، ولا يخفى أن تشويه تراث الأمة ، هو تشويه للأصالة التى تنطلق منها . وتراث المسلمين تعرض لانتهاك هؤلاء الحاقدين على كل ما هو إسلامى ، فأصابه ما أصاب غيره من الافتراء والافتئات .

٧ ـ وهناك **محاولة تشويه مجال الغيب فى الإسلام** ، وهذه المحاولة أريد منها زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين ، ولذا جاءت المحاولة

---

(٦٣) انظر : الدكتور على عبد الحليم محمود ، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

تشكك فى كل ما لا تدركه الحواس وتفسر الجزاء عند المصدقين به .. بأنه جزاء روحى ، والجنة والنار بأنها شعور نفسى .

٨ ـ وهناك **محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية** ، وذلك بالادعاء بأنه لا يوجد نظام للحياة معروف فى الإسلام ، **والتهم التى وجهت إلى نظام الحياة الإسلامية كثيرة ولكن أبرزها وأخطرها** :

أولًا : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم(٦٥).

ثانياً : اتهامهم النظم الإسلامية بالمحلية والقصور والإقليمية .

ثالثاً : اتهامهم لها بأنها عند التطبيق والتنفيذ تعتمد على وحشية أو همجية أو قسوة وبخاصة فيما يتصل بالرجم والقطع والجلد .

رابعاً : اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بأنها لم تحظ بإجماع المسلمين عليها ، فى عصر من العصور .

خامساً : اتهامهم لها بأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية فى ظل الدولة الإسلامية .

وهذه التهم قد أطلقها أعداء الإسلام من غير المسلمين ، وشاركهم فى إطلاقها بعض المسلمين المخدوعين بالفكر الغربى .

٩ ـ وهناك **محاولات تشويهية أخرى ، تتصل بجوانب من الإسلام** :

أولا : إن هذه المحاولات فى مجموعها ، تشكل انقضاضاً على مبادىء الإسلام وتعاليمه ..

---

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

ثانياً : من مظاهر الغزو الفكرى : إحياء النزعات الجاهلية التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام كالدعوة إلى القومية ، والدعوة إلى الفرعونية ، والآشورية ، والفينيقية ، وما جرى مجرى هذا . مما يتنافى مع الإسلام .

ثالثاً : الدعوة إلى التحلل والإباحية : وهذه دعوة خبيثة لأنها تطعن الأمة فى أخلاقها وقيمها ، وقد شاعت فى المجتمعات الإسلامية أمور تعافها الفطر السليمة ، ولكنه الإنحراف الذى لا يعترف بالقيم الفاضلة .

رابعاً : إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة : ولا يخفى أن إبعاد العلماء عن المراكز التوجيهية أمر له خطورته ، وفى بعض المجتمعات تقلص دور العلماء ، وأصبح قاصراً على خطبة الجمعة ، وبعض الأحاديث التى تخضع للعيون الساهرة والمراقبة الدقيقة ، وأصبح بعض العلماء يجرون وراء المناصب جرياً ، تذل له الجباه ، ويطلبون المناصب بما لهم من مآثر فى الاتباع ، وأياد فى التصفيق والتأييد .

خامساً : التعليم والثقافة ، ولا يخفى أن الغزو الفكرى ، ينتشر من خلال مدارس التعليم ومعاهده وجامعاته أفضل من أى مظهر آخر .

وقد دخل الغزو الفكرى إلى العالم الإسلامى ، من باب يخيل إلى السطحيين من الناس أنه الباب الطبيعى . إذ حمل اسم العلم والمعرفة

والتمدن . يقول القس زويمر : « المدارس أحسن ما يعول عليه المبشرون في الاحتكاك بالمسلمين »[٦٦].

ومن المعروف أن المسلمين أقبلوا على هذه المدارس بكثرة كاثرة ، يزدردون مناهجها ، ويلتهمون كل ما احتجنته من عقيدة وفكر ، لا يميزون صحيحها من فاسدها ، ونفعها من ضرها[٦٧].

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف وأدباً وفنوناً فحسب ، بل مناهج فكر وخلق ، تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى ضروب نشاطها ، فإن « الغزو الفكرى » استطاع من خلال الثقافة ، أن يلقى من الأخلاط الغربية الملتمسة من الفكر الغريب المنحرف ، والتوجيه الفاسد ، القائم على التخطيط الشرير[٦٨]. **ولذا قام الغزو الفكرى بالدعوة إلى الأغراض الآتية :**

١ ـ الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية .

٢ ـ الدعوة إلى العامية ، وإلى تطويرها .

٣ ـ إيجاد الشعور بالتبعية الثقافية ، والشعور بمركب النقص .

٤ ـ دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية .

٥ ـ توهين جهود المخلصين الثقافية والإبداعية .

---

(٦٦) محب الدين الخطيب ، الغارة على العالم الإسلامى ، ص ٤٨ ، ط ١٣٨٤هـ .

(٦٧) إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ١٣ .

(٦٨) انظر : عمر عودة الخطيب ، لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

٦ ـ تمجيد القيم الغربية ، وتسفيه القيم الإسلامية ، والدعوة إلى نبذها .

٧ ـ لفت المجتمعات إلى القشور ، وإلهائها عما يفيد وينفع .

٨ ـ إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية ، والبعد عن الأساليب العلمية .

٩ ـ إنشاء الموسوعات التاريخية الإسلامية ، وبذر الشكوك ولى الحقائق فيها .

١٠ ـ الحرص على تكوين جيل مثقف يحمل راية الاستشراق والدعوة[٦٩].

١١ ـ الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية ، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن .

سادساً : الخدمات الاجتماعية : والخدمات الاجتماعية مظهر من مظاهر الغزو الفكرى ، وقد وجد المخططون لغزو العالم الإسلامى أن الخدمات الاجتماعية طريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره من خلال الخدمات الاجتماعية ، ولذلك أصبحت الملاجىء ، والمستشفيات ، والمستوصفات ، والجمعيات الخيرية ، ووكالات الإغاثة ، ودور الأيتام والمسنين ، وغيرها .. مراكز غزو !!

ومما يلاحظ أن « الغزو الفكرى » لم يقتصر على المظاهر التى

---

(٦٩) انظر : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ص ٧٢٢ .

ذكرنا بعضاً منها ، وإنما كانت هناك خطوات أخرى محسوبة ومتعددة ، على كافة الجهات والطرق ، ومن هذه المخططات :

١ ـ الإرساليات التبشيرية التى قل أن يخلو مجتمع إسلامى منها .

٢ ـ الإعداد الصهيونى والتنسيق بينه وبين الفكر الغربى .

٣ ـ التصنيف والتأليف فى المباحث الإسلامية واستغلال قصور المسلمين فيها .

٤ ـ إلقاء المحاضرات فى الجامعات أو الجمعيات الإسلامية .

٥ ـ إنشاء دوائر المعارف الإسلامية ، والمعاجم المختلفة ... وغيرها ..

٦ ـ استغلال البعثات العلمية والثقافية .

٧ ـ الامتيازات الأجنبية والحصانات الدبلوماسية واستغلالها .

٨ ـ استغلال الأقليات والطوائف والنعرات .

٩ ـ التعاون بين التبشير والسياسة .

١٠ ـ استغلال الحركات الوطنية ، والتطلعات السياسية .

١١ ـ استغلال فقر الشعوب ، وحاجتها ، وعريها ، وربط الإحسان بالتبشير .

١٢ ـ استغلال العواطف والجوع الجنسى ، واستخدامه فى خدمة الأهداف .

١٣ ـ الرحلات ، وجمعيات الصداقة ، والدعوة إلى العالمية ، والمجتمعات الكشفية .

١٤ ـ المساعدات الاقتصادية ، وربطها بتسهيلات وتنازلات معينة .

١٥ ـ الدعوة إلى الحوار الحر ، مع نبذ العقائد والأفكار ، والتجرد للوصول إلى الحقيقة[٧٠] فى زعم هؤلاء .

تيارات الغزو الفكرى

ومما لا يخفى على باحث أو دارس ، أن الغزو الفكرى لكى يحقق أهدافه من إبعاد الأمة الإسلامية عن أصالتها ، وآدابها ، اتخذ له منافذ متعددة ، وتيارات مختلفة ، قد تبدو متباينة ، ولكنها تلتقى جميعها فى محاربة الإسلام والمسلمين ، **ومن هذه التيارات والحركات :**

(الاستشراق) ، (التبشير) ، (الصهيونية) ، (الماسونية) ، (أندية الروتارى) ، (العلمانية) ، (القوميات) ، (التغريب) ، (الوجودية[٧١]) ، (الفوضوية) ، (القاديانية) ، (البابية والبهائية) .. وغير ذلك ..

إن هذه التيارات والحركات صنعها « الغزو الفكرى » ، ليمر من خلالها إلى الشعوب الإسلامية ، وقد استطاعت هذه التيارات أن تثبت أقدامها ، وتوطد علائقها ، وتقيم معاهدها ، ومدارسها ..

---

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٧٢٣ .

(٧١) انظر : وراجع كتابنا ، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة ، ط . دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٣ هـ .

وهناك مجتمعات إسلامية ـ جميعُ أبنائها مسلمون ـ بدت فيها ظاهرة لا يتنبه لها إلا الباحثون ، وما أخطر هذه الظاهرة ، ظاهرة انتشار صورة الصليب فى أشكال قد لا تلفت النظر لأول وهلة .

فقد يكون الصليب داخل مربع يضيىء ليلًا أعلى قمة محل تجارى .

وقد يكون الصليب داخل إطار دائرى ، تتزين به حجر الاستقبال.

قلت لصديقي الذى تتزين حجرة جلوسه بثلاث من هذه الدوائر : ما هذا ؟ قال : لا أدرى ـ والله ـ إنها أدوات زينة .

وقد يكون الصليب داخل إطار كتابى « شعاراً » لأحد الشركات الكبرى .

وفى بعض المجتمعات الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن يشير إلى أى ظاهرة من ظواهر الغزو الفكرى فى المجتمع . بأى إشارة كانت .

وهكذا تعيش بعض المجتمعات الإسلامية فى ظواهر الغزو الفكرى ولا أحد يرى ، ولا أحد يتكلم ، ولا أحد يسمع .

لقد نجحت الحملات التى قامت بها مؤسسات الغزو الفكرى الغربى فى تحقيق أغراضها نجاحاً بعيداً ، حين ضمت إليها فئات مثقفة من المسلمين ، وجعلتها فى صفها تحارب الإسلام وثقافته ، وأكثر من هذا . أن هؤلاء المثقفين صاروا يستنكرون الثقافة الإسلامية إذا تناقضت مع الثقافة الغربية ، وصاروا يستمرئون الثقافة الغربية ويتعشقونها ، ويتجهون فى الحياة طبق مفاهيمها[٧٢] .

---

(٧٢) انظر : عز الدين الخطيب التميمى وآخرين ، نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ص ٤٦ .

لقد أقبل الكثير من المسلمين على ثقافة الغرب يدرسونها ويطبقونها ويتسابقون فى الأخذ بها ، واستجاب المسلمون إلى الدعوات العنصرية حتى صارت على لسان الكثير ، وحتى صارت الأقليمية الضيقة هى المرتكز لأى عمل فى أى اتجاه سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً .

إن هناك حرباً تشن على العقائد الموروثة ، وعلى المُسَلَّمات التى تتصل بالوحى والبعث .. وهناك فلسفات مطروحة ، ترمى إلى إلغاء القيم الثوابت ، وإقامة التطور المطلق ، وتجاوز الروح ، وإقامة المادة وحدها ، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ودعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب ، بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها بإخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين ، ودعوتهم إلى علمنة الذات العربية ، وهناك دعوات إلى إعادة طرح الأساطير ، والإباحيات فى أفق الفكر الإسلامى عن طريق القصة ، والمسرح ، والصحافة ، وهناك دعوات تزين الباطل وتزخرفه ، ودعوات تحول الشر إلى صور براقة زاهية(٧٣)..

أهداف الغزو الفكرى

لا يمكن أن يتصور عاقل أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها ، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن أعداء الإسلام قد سكتوا عن

---

(٧٣) أنور الجندى شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ط . المكتب الإسلامى بيروت ١٤٠٣هـ .

الإسلام بعد أن تحالفوا ضد أهل الإسلام فغلبوهم وجعلوا منهم أمماً بعد أن كانوا أمة ، وفرقاً بعد أن كانوا وحدة ، ولا زال أعداء الإسلام ، يدبرون لحربه كل يوم وسيلة . ويحشدون للوقوف فى وجهه كل يوم قوة ، وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندى والسلاح فى المعركة الضارية التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله .

وإن هؤلاء الأعداء قد سكتوا عن حرب الجنود والأسلحة ، ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام : منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه ، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل ، وخبث التيارات والأساليب ، فغزوا المسلمين فى قلوبهم ، وأفكارهم ، وأخلاقهم ، وأزيائهم ، وشنوا على العالم الإسلامى من الغارات ما لا يخفى أمره[٧٤] .

وإن أخص صفات عصرنا ، هى أنه ينتج من الأفكار ، بقدر ما ينتج من الأشياء ، وليس من الضرورى أن نتطلب من الأفكار المنتجة ، أن تكون نافعة دائماً كالأشياء فإن المجتمعات التى تصدر إلينا أشياء الحضارة ، ترى فى الأفكار سلعة ، ينبغى أن تتغير كل يوم ، كما تتغير طرز الأشياء ، ولذلك يقف مثقفونا مبهورين ، أمام موجات الفكر الوارد من الخارج ، ماذا يأخذون وماذا يدعون ؟! بل قل : ماذا يقرءون وماذا يترجمون ؟ ولا شيء أكثر من هذا .. يكفيهم أن

---

(٧٤) انظر : الدكتور على عبد الحليم محمود ، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٥ ، ٦ .

يستطيعوا ملاحقة الأفكار ، دون أن يكون عليهم أن يواجهوها أو ينقدوها فهم إلى أن يصوغوا نقداً معيناً لأحد الاتجاهات الجديدة نسبياً ، يكون الوقت قد فات ، وتقادم بمرور الزمن ما ينتقدون . وغطت عليه أفكار أخرى أشد لمعاناً ، وأكثر جاذبية وإشعاعاً .

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامى هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار ، نظراً إلى موقعه وخطورة موقفه ، ليبقى هذا العالم مفتقراً إلى الدول المصدرة وليحال بينه وبين أفكاره الأصيلة التي يمكن أن تغنه عن الاستيراد .

وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات ، وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد ، ومن ثم حفلت أسواقنا ، بما هو أشد فتكاً من السموم ، وأعظم انتشاراً من الهواء ، يتخلل كل خلية وينخر فى كل بناء ، أفكار ترتدى أثواباً ، أو تحمل شعارات ، أو ترفع مشاعل . ليس الثوب فيها ، أو الشعار ، أو المشعل ، إلا قناعاً يستر الزيف الخطر[٧٥] .

إن هذا الغزو الفكرى الذى يجتاح الشعوب الإسلامية يهدف فيما يهدف إلى :

١ ــ أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها .. تلك القوى التى تتمثل فى عدد محدود من الدول الكبيرة ، التى

(٧٥) انظر : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مقدمة كتاب الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٨ ، ٩ ط . المختار الإسلامى ١٣٩٧ هـ الطبعة السابقة ، القاهرة .

يحمى بعضها بعضاً ، ويتبادل ساستها الدفاع عن المصالح ، التى تهم أى طرف من أطرافها .

٢ ـ أن تظل بلدان العالم الإسلامى خصوصاً ، والعالم النامى عموماً تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة ، تبعية غير منظورة ، وفى هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها ، فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال ، بينما هى ترسف فى قيود الذل والتبعية . وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ومصيرها إلا وهى دائرة فى فلك دولة كبيرة واهمة ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية .

٣ ـ أن تتبنى الأمة الإسلامية أفكار أمة أخرى من الأمم الكبيرة دون نظر فاحص ، وتأمل دقيق ، مما يؤدى إلى ضياع حاضر الأمة الإسلامية فى أى قطر من أقطارها ، وتبديد لمستقبلها ، فضلاً عما فى ذلك من صرف عن منهجها وكتابها ، وسنة رسولها ﷺ وما يترتب على هذا الصرف من ضياع أى ضياع ، إذ لا يوجد مذهب سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى يغنى الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهى ، ونظامها الشامل المتكامل فى كل زمان ومكان .

٤ ـ أن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم ، وتمسخ عقولهم ، وتخرج بهم إلى الحياة ، وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئاً واحداً ، هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية أولا ، ثم يلبس الأمر عليهم بعد ذلك ، فيحسبون أنهم

بذلك على الصواب ، ثم يجادلون عما حسبوه صواباً ويدعون إليه ، وهم بذلك يؤكدون تبعيتهم من جانب آخر ، فيعيشون الحياة وليس لهم منها إلا حظ الأتباع والأذناب .

٥ ـ أن يحول العدو بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية ، وسير أعلامها وقادتها .

٦ ـ أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب ، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية ، وما دام الإنسان لا يكفر إلا باللغة فإن اضعاف لغة أمة هو أضعاف لفكرها .

٧ ـ أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية ، وعاداتها وتقاليدها .[٧٦]

٨ ـ تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف ، وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد ، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التى جاءت بعده .

٩ ـ إحياء الجوانب الضعيفة فى التراث الإسلامى خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التى وقعت بين المسلمين أنفسهم ، والتركيز على دعوات الحركات الباطنية ، وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ، ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكراً عالياً ، وفلسفة عميقة .[٧٧]

---

(٧٦) انظر : الدكتور على عبد الحليم محمود ، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، ص ٨ ، ١٠ بتصرف .

(٧٧) إبراهيم النعمة ، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ص ٣٠ .

١٠ ـ اضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب ، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر .

١١ ـ تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى ، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها .

١٢ ـ اضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين فى مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام ، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم .[٧٨]

١٣ ـ اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين ، وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً .

١٤ ـ تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية ، من الإيمان بالله ، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس .

نقد الغزو الفكرى ومواجهته

بعد أن اتضحت لنا أبعاد «الغزو الفكرى» وتياراته ، وحركاته ، التى تعمل ليل نهار ، يبقى أمامنا السؤال الكبير :

ماذا فعلنا نحن ؟ وما موقفنا من الغزو الفكرى ؟

---

(٧٨) أنور الجندى ، شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى ، ص ١٨ .

إن جزءاً كبيراً من الغزو الفكرى ، حركة فكرية هائلة ، وما تنتجه هذه الحركة ، يخصنا نحن المسلمين ، ويخص عقيدتنا ، ولغتنا ، وتراثنا ، وتاريخنا ، وذاتيتنا .

وإن جزءاً كبيراً آخر من الغزو الفكرى ، حركة عملية هائلة ، تأخذ المواقع ، وتسيطر على القلوب .

والغزو الفكرى بحركته الفكرية والعملية ، من أخطر ما نواجه فى حياتنا ، لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم يتعلق بأعمق أعماقنا عقدياً ، وفكرياً ، وحضارياً ، وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا المواجهة وقبول التحدى وإثبات الذات وإلا فلسنا جديرين بالحياة .

ولا يخفى على أحد أن السعى إلى اثبات الذات ، والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحوة ....

إذن ــ لابد من منهج .

والمنهج الصحيح هو أن نواجه الفكر بالفكر ، والعمل بالعمل ، ولما كان التخطيط الاستشراقى منبعاً لكثير من التيارات . والتحرك التبشيرى غزواً عملياً للمجتمعات ، كان علينا أن نواجه هذين التيارين فى قوة وحزم .

أولا : مواجهة الفكر الاستشراقى :

لا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية ، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار ، والعمالة الثقافية ، ويغذى عملية

الصراع الفكرى ، ويشكل المناخ الملائم ، لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى ، وإخضاع شعوبه .

فالإستشراق هو المنجم ، والمصنع الفكرى ، الذى يمد المنصرين والمستعمرين ، وأدوات الغزو الفكرى ، بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى ، لتحطيم عقيدته ، وتخريب عالم أفكاره ، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية .(٧٩)

لقد تطورت الوسائل ، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ، ويكفى أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات ، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية فى الجامعات العلمية ، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية ، أو المبتكرات العلمية ، والاختصاصات الدراسية ، تمثل الصور الأحدث فيتطور الاستشراق ، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد ، لما يجرى فى العالم يومياً .(٨٠)

ففى القارة الأمريكية وحدها ، حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامى ، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم ، ومن ثم دراسته وتحليله ، مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ، ومنابعه العقدية ، ثم

(٧٩) انظر : عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢٢ .

(٨٠) المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٩ .

مناقشة ذلك مع صانعى القرار ، لتبنى على أساسه الخطط ، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية ، والسياسية ، وتحدد وسائل التنفيذ .[81]

وإن الباحث فى مؤسسات الاستشراق ، ووسائلها المختلفة ، يجد أنها استطاعت ، أن تؤثر فى العقلية الإسلامية ، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية ، وأثمن ذخيرة لها ، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم ، أساساً للمعلومات الإسلامية ، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها .[82]

ولقد نجحت العقلية الأوربية الاستشراقية ، فى فرض شكليتها وآليتها على التحقيق ، والتقويم ، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربى الإسلامى ، ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث ، قد سارت على هذا النهج فى التاريخ ، والأدب ، وغيره .. ولم تتجاوزه إلا فى القليل النادر ، وانتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ، ومتبنية لوجهة نظرها ، ومدافعة عن المواقع الثقافية التى احتلتها .

حتى فى الجامعات ، والمؤسسات العلمية ، لايزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية ، التى اكتسبها بعض المثقفين العرب من الجامعات الأوربية .[83]

---

(٨١) المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٩ .

(٨٢) الشيخ أبوالحسن الندوى ، الإسلام والمستشرقون ، مجلة المنهل ، عدد ٤٧١ ص ٢٦ .

(٨٣) الأستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة العدد رقم ٢٧ ، ص ١٤ .

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الإسلامى ، ومحاولة تشكيل العقل المسلم وفق النسق الغربى الأوربى ، وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامى لممارسة هذا الدور ، والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ، ومراكز الدراسات والإعلام ، والتربية فى العالم الإسلامى ؛ لجعل الفكر الغربى ، والنسق الغربى هو المنهج ، والمرجع ، والمصدر ، والكتاب .(٨٤)

ومما يلاحظه الباحث بوضوح : أن عمليات الاستشراق والتغريب ، لم تستسلم ، ولم تلق السلاح ، لكن لما أعياها السعى ، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها ، وأطروحاتها ، وعدم إمكانية القبول لها فى العالم الإسلامى ، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة فى بنية العقل المسلم أصلا ؛ لتأتى على البنيان الإسلامى من القواعد ، وترسب فى النفوس أن السبب فى التخلف ، والعجز ، والتخاذل الثقافى ، وعدم القدرة على الإبداع ، وقبول الفكر الغربى ، هو فى بنية هذا العقل ، وتكونه ، وميراثه الثقافى .

فهو عقل مولع بالجزئية ، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء ، وهو عاطفى يحب الإثارة والانفعال ، ويعجز عن الفعل ، وهو محكوم أيضاً بموروث ثقافى لا يستطيع الفكاك منه . فهو لا يفكر بطلاقة وحرية ؛ لأنه محكوم بوحى مسبق ، وهو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجى ، ويعجز عن التفكير الاستقرائى ، وهو معجب بالمنهج

---

(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٦ .

البيانى ، وعاجز عن المنهج البرهانى ، وهو يخلط بين الواقع المعاش ، والمثال الخيالى ، وصاحبه يحب الثأر ، ويغرق فى الملذات ، وأن الإسلام الذى يكون هذا العقل هو دين أمر ونهى ، وزجر وكبت للحرية ، وإلغاء للاجتهاد ، الأمز الذى أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية ، والقدرة على الإبداع .(٨٥)

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى من معرفة ذاته ، فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية ، ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته ، وينهض من عجزه ، ويلقى على كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى ، يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه ، لا فى أوربا ، ولا فى العالم الإسلامى ، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا ــ أياً كان هذا ــ أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا .(٨٦)

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية ، فإن علينا من ناحية أخرى ، أن نتحرر من عقدة التخلف ، التى تسيطر علينا ، فى جميع مناحى حياتنا ، والتى تسد علينا منافذ الأمل ، فى الخروج من أزمتنا ، فقد تحررنا من الاستعمار العسكرى ، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتى من

---

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٨٦) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

الغرب ، هى نظرة التقدير ، والاكبار ، حتى وإن كان هذا الذى يرد إلينا ، متمثلاً فى أزياء غريبة عن أذواقنا ، وتقاليدنا .[87]

وحتى نكون فى مستوى الحوار الفكرى ، والتبادل المعرفى ، ونوقف فعلاً الغزو الفكرى والاختراق الاستشراقى ، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية .. أن نكون قادرين على الانتاج الفعلى ، لمواد ثقافية ، تمثل ثقافتنا ، وتأتى استجابة لها ، وتغرى الناس بها ، وبذلك وحده نكون فى مستوى الحوار ، والتبادل المعرفى ، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين ، والنظر إلى الخارج دائماً ، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملء الفراغ بعمل بنائى مستمر ، وتحصين الذات .[88]

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب ، إذا قال : إننا إذا لم نتصدى للتيار الاستشراقى بكل قوة ، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان ، لا محالة والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة ، جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين ، وتبعدهم عن إسلامهم .

وإن الإنسان الذى يتابع النشاط الاستشراقى ، قد يلاحظ بوضوح ، أن هذا النشاط يمثل قمة التحدى للفكر الإسلامى ، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين : «أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة ــ

---

(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٨٨) عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة ، العدد رقم ٢٧ ، ص ٢٩ .

التى كانت تمثل تحدياً للإسلام ، والفكر الإسلامى الأصيل ، فى عصور الإسلام الزاهرة ـ كانت حافزاً للمسلمين ، فى تلك الأيام الخوالى ، للوقوف أمامها بقوة وصلابة .[89]

وقد رأى الإمام الغزالى ، فى عصره ، أن التيارات الفلسفية ، يتردد صداها فى الأرجاء وأنها تصول ، وتجول ، فى تحدٍ سافرٍ ، للفكر الإسلامى ، والمسلمين ، فلم يقف الغزالى موقف المتفرج ، ولم يسب ، ويشتم ، ويصرخ ، ويولول ، ولم يرغب أن يترك الأمر ، ويقول لا شأن لى به ، ولكنه عزم على خوض المعركة ؛ فأعد العدة ، واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء .

وقد رأى أن يتقن الفلسفة ، ويتفرغ لقضاياها ، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة ، واستطاع فى دقة واتقان أن يخرج كتابه : « مقاصد الفلاسفة » وكان ما قام به هو الخطوة الأولى فى منهج المواجهة للفكر الفلسفى ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك ، بالكشف عما فى « مقاصد الفلسفة » من تناقض للفكر ، ومخالفة للمنطق والعقل ، وتعثر فى المقاصد ، فكان كتاب « تهافت الفلاسفة » يمثل قمة المواجهة .

واستطاع بهذا المنهج النقدى أن يواجه المعركة ، ويخوض غمارها ، فى قوة ، ودقة ، ويقول الغزالى معبراً عن ذلك المنهج : « ثم

(٨٩) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٢٤ .

إنى ابتدأت ـ بعد الفراغ من علم الكلام ـ بعلم الفلسفة ؛ وعلمت يقيناً : أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ، ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غوره وغائله ، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ، ولم أر أحداً من علماء الإسلام ، صرف عنايته وهمته إلى ذلك » .(٩٠)

وإذا كان الغزالى ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفى ، فى عصره ، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات ، فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين ، وبشتى اللغات الإنسانية ، وهناك عشرات المجلات ، ومئات المؤسسات التى ترعى الاستشراق ، وتعمل لخدمة المستشرقين ، وهناك أيضاً آلاف العلماء والباحثين ، من المستشرقين ، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم ، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية التى تعقد حسب الحاجة فى العواصم العالمية .

وقد كان لحركات الفكر الاستشراقى منذ القرن الثامن عشر قوة دفع ورواج واستقطاب أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامى بما كتبه المستشرقون عن الإسلام فى الكتب ، والمجلات ، والموسوعات ، وعن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعن

---

(٩٠) الإمام الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ص ٩٢ ، تقديم الدكتور عبدالحليم محمود ، ط. دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٥م .

النبى ﷺ الذى بعثه الله بهذا الدين الحنيف[٩١] ، ومواجهة التحديات الاستشراقية . ضرورة لابد منها ، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا ، التى جاء بها الإسلام ، وعلى ذاتيتنا ، وشخصيتنا .

ومواجهة الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية وغيرها يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة ، ومخلصة ، لرد هذه الطعون المفتراة ، حتى لا يأتى زمن نجد أنفسنا فيه ، بألسنة غير ألسنتنا ، نردد ما يقوله المستشرقون ، دون وعى أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا .

ومنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية وغيرها مما تناوله الاستشراق لابد وأن يقوم من وجهة نظرنا على الأصول الأساسية التالية :

أولاً : استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقى فى مختلف المجالات الإسلامية ، وهذا الاستيعاب لابد منه .

ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخرون عنها ، فى عقائدها وغير عقائدها ، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله أو يتقوله هؤلاء المستشرقون .. ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية :

١ - القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين - فى المجالات المختلفة فى

---

(٩١) الدكتور التهامى نقرة ، القرآن والمستشرقون ، ص ٢١ ، من كتاب « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية - الجزء الأول - ط . مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٥م .

القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، بصفة أساسية ـ باللغات الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والروسية ، ويشمل هذا الحصر : الكتب ، والمجلات ، والدوريات .

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين ، ويحتاج إلى عدد من المساعدين فى مجال كل لغة نأخذ منها .

٢ ـ لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية ، المشار إليها ، عن طريق الشراء ، إذا كانت متوفرة ، أو عن طريق التصوير ، إذا لم يمكن شراؤها ، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدى الخبراء والعلماء .

٣ ـ يقوم جهاز متعاون من الخبراء فى اللغات المختلفة ، بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات ، وضم المادة التى يتكرر الحديث عنها فى لغات مختلفة ، تحت موضوع واحد .

٤ ـ تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية ، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة ؛ ليكون عندهم تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة ، وحتى يغطى التناول للموضوع وجهات النظر التى قيلت فيه .(٩٢)

---

(٩٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٣٤ ، بتصرف وإضافة واختصار .

٥ ـ تذكر مع المادة التى تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها وأزمنتهم وبيئاتهم ، والدوافع وراء مقولاتهم .

٦ ـ العمل على بيان المصادر ، التى اعتمد عليها المستشرقون ، فى كتاباتهم عن قضايا المسلمين ، وهل هى مصادر إسلامية أصيلة فى الموضوع ، أم مصادر غير إسلامية ، لأن بعض المسشرقين يعتمد على ما ذكره المسشرقون السابقون ، كمصدر أساسى ، دون الرجوع إلى كتب المسلمين .

٧ ـ بيان المنهج الذى التزم به هؤلاء الكاتبون فى العقائد والشرائع ، والتاريخ ، والحضارة ، والسيرة لأن بيان مناهج المستشرقين سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة فى المنهج والنتائج ، والدارس لمقولات المستشرقين فى العقائد الإسلامية وغيرها ، يجد فى هذه الكتابة تغرباً عن المسلمات ، وخروجاً صريحاً على البداهات ، وما يمكن اعتباره محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسور ، وهى لن تفعل فعلها فى يقين المسلم ، إلا فى حالات معينة ، بينما نجدها تدفعه فى أغلب الحالات وأعمها ، إلى الاشمئزاز ، والنفور .

هذا مع أن معالجة واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب ، وترتبط أسبابها بالسماء ، ويكون فيها الوحى همزة وصل مباشرة بين الله ـ سبحانه ـ ورسوله الكريم ، واقعة كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذرات والعناصر فى مختبر للكيمياء ، أو كما تعامل

الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين ، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التى لا ترتبط بأى بُعد دينى أصيل .(٩٣)

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص ، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل ، وتستعصى على التحليل المنطقى الاعتيادى المألوف ، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف ، ومعطيات المنطق المتوارثة ، لا يقود إلى نتائج خاطئه حيناً ولا تستعصى عليه بعض الظواهر حيناً آخر فحسب ، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال ، أو محاولة لتفحص الجسد البشرى ، كما لو كان فى حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة .(٩٤)

وإن الدين ، والغيب ، والروح ، والوحى ، والقضاء ، والقدر ، وما اتصل بهذا من أمور العقائد ، ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلى بكلمته فيها إلا بمقدار ، وتبقى المساحات الأكثر عمقاً وامتداداً بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق .

ثانياً : نقد المنهج الذى التزم به المستشرقون فى معالجة قضايا العقيدة الإسلامية ، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء فى نقد ما جاء من أخطاء وافتراءات فى مجال العقيدة ، لأن : « مناقشة أى من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات ، لا تغنى شيئاً ؛ لأنها

---

(٩٣) الدكتور عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ، ص ٦ ، ط. دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

(٩٤) المصدر السابق ، ص ٦ .

ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح ، ويستهلك نفسه فى الجزئيات ، دون أن يبحث عن الجذور العميقة ، التى تظل تنبت الشوك والحسك .

والجذور العميقة هى المنهج الخاطىء ، الذى تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين ، فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع الذى يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية ، وخلخلة الأسس التى جاءت بهذه الثمار المرة ، واقتلاعها .[٩٥]

ثالثاً : نقد الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون فى مجال الإسلاميات وعملية نقد هذه الأخطاء ، والمزاعم ، تقتضى منا عرض الشبهات ، والمقولات ، ونقدها نقداً علمياً ، بعيداً عن النزعات الهجومية ، حتى يكون لهذا العمل العلمى ، أثره الإيجابى ، لدى المثقفين من المسلمين ، وغير المسلمين .. وحتى يكون كذلك دافعاً للمستشرقين إلى إعادة النظر فى أقوالهم ، وعوناً لهم على تصحيح اتجاهاتهم ، وفى النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام ، لكل راغب فى التعرف عليه[٩٦] ، ولا يخفى أن العمل العلمى القائم على النقد السليم ، يحمل العمل البنائى ، الذى يأخذ بالناس جميعاً إلى العلم ، والمعرفة ،

---

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٩٦) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٣٢ .

والعملية النقدية الهادفة ، جديرة بالممارسة ، والمتابعة ، لإثراء الفكر الإنسانى بكل حق ، وبكل مفيد .

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لابد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه أولئك الذين تخصصوا فى الاستشراق .

رابعاً : إبراز ما ردده بعض المستشرقين فى نقدهم لمستشرقين آخرين ، فإن هذه النقود العلمية التى ذكرها المستشرقون لها دلائلها ، وقد تكون أبلغ فى باب النقد ، والتصدى والمواجهة ، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين فى باب النقد ، إن ما ذكره بعض المستشرقين فى هذا الباب ، يشكل ثروة مفيدة ، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين .

خامساً : إثبات أن المصادر التى اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصيلة فى الموضوع .

وقد رأى الباحثون ، أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين سابقين قد أعماهم التعصب ، فنفثوا سمومهم فيما كتبوه ، وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد ، وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنه ، وغيرهما من الكتب التى تجرى مجراهما .

سادساً : يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين

من أخطاء علمية ، أو لغوية ، أو تاريخية ، عن جهل أو عن سوء فهم وضيق نظر أو عن شطط فى الافتراضات .(٩٧)

سابعاً : أن تقوم النقود ، التى توجه إلى الاستشراق على منهج يضم الأدلة العقلية ، والأدلة النقلية ، لأن نقد الاستشراق هو بالدرجة الأولى للمسلمين حتى لا يخدعوا بهذه البحوث والدراسات التى تصل عن طريق الاستشراق ، وحتى لاينبهروا بهذا التيار .

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين وقد لا يعترفون بالدليل النقلى فكان لابد من الدليل العقلى المقنع ، الذى يجعلهم يفكرون كثيراً ، قبل أن يقدموا على تناول ما للمسلمين بغير المراد منه .

ثامناً : أن تكون النقود التى توجه إلى الاستشراق شاملة لآراء السلف والخلف ، فى مسائل العقيدة ، من الأسماء ، والصفات ، والتشبيه والتأويل ، والقضاء والقدر ، والحرية ، والجبرية ، وقضية الألوهية ، والإسلام ، والإيمان ، والنبوة ، والرسالة ، والوحى ، والمعجزة ، والبعث وما جرى مجرى هذا من مسائل العقيدة .

ومواجهة الفكر الاستشراقى ـ بما ذكره السلف والخلف ـ فيه تضييق وحصار لآراء المستشرقين .

تاسعاً : لابد من تفرغ عدد كبير ، من علماء الأمة الإسلامية ـ

---

(٩٧) الدكتور التهامى النقرة ، القرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين ، ج ١ ، ص ٢٢ .

المتخصصين والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية ـ للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغى .

عاشراً : أن تتوفر لهذا العمل الجدية ، والجهود المخلصة ، لتتمكن الأمة من المواجهة ، والعمل .

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق وهى ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم فى المعالجة .

ونذكر من تلك الأعمال مايلى :

١ ـ أن يصاحب النقود التى توجه للاستشراق عمل موسوعة الرد على المستشرقين ، وفى هذا يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق : «إن المواجهة الفكرية الجادة هى الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين ، ومن أجل ذلك ينبغى أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية ، ونأخذ فى الحسبان أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين فى العالم الإسلامى ، وفى العالم الغربى على السواء ، ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة ، ولما كان الفكر الاستشراقى مكتوباً بشتى اللغات الحية ، ومنتشراً انتشاراً واسعاً على مستوى عالمى ، فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمى نفسه» .(٩٨)

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة ، فى

(٩٨) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٣١ .

نهاية عام ١٩٧٩ م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد «موسوعة للرد على المستشرقين» وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع ، وقد أعدت التقارير وقضى الأمر ونامت الفكرة .[99]

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن «موسوعة الرد على المستشرقين» تختلف عن «منهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة والسنة وغيرها» لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامى .

٢ ـ لابد من عمل دائرة معارف إسلامية ـ يقوم بعملها العلماء المسلمون ـ «مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية» من بين الأولويات العلمية الملحة ، فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التى قام بإعداها المستشرقون قبل الحرب العلمية الثانية . فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصداره دائرة معارف إسلامية جديدة ، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية ، واللغات الأوربية ، تقف على الأقل فى مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، تخطيطاً وتنظيماً ، وتتفوق عليها علمياً ، وتنقل وجهة النظر الإسلامية فى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء»[100]

---

(٩٩) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(١٠٠) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

وقد لايكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم ، عن عمل « دائرة معارف إسلامية » يدل على الضعف ، الذى يدب فى النفوس ، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين ، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة ، هاجت وماجت ، ثم نامت .. **إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل ، وإن شئت فقل : إننا نتكلم ولا نعمل .**

ومهمتنا لنواجه الاستشراق ، أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف فى التاريخ ، والعقائد ، والأدب ، والأخلاق ، والفقه ، والحديث ، ومختلف العلوم ، والفنون ، لأن المعركة فكرية قوامها انتشار الكلمة .

٣ ـ من الضرورى لمؤازرة منهج نقد الاستشراق فى الأمور التى خاض فيها المستشرقون أن تكون هناك دوريات ، ومجلات ، ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق ، لمحاصرة الفكر الاستشراقى ، وصد هجومه ، والوقوف أمام زحفه .

٤ ـ من الضرورى لنجاح التصدى ، لسوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية ، وأكاديمية ، ودعوية ، ترعى شئون النقد ، والمواجهة وإعداد الدوريات والمجلات والمؤتمرات .

وفى إمكان الأمة الإسلامية ، أن تُوْجِد الهيئات العلمية العالمية ، وتهيىء الأجواء المناسبة ، التى تكفل نجاح المواجهة ، والتصدى للزحف الاستشراقى ، وذلك أن أمتنا الإسلامية حباها الله ـ سبحانه

وتعالى ــ بأعظم النعم ، كما بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين فى مختلف العلوم ، والفنون .

٥ ــ أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية ، وأن يكون لنا دور بالمشاركة فى المؤتمرات الاستشراقية ، التى تعقد فى مختلف العواصم العالمية .

وهذه المشاركة لها أثر إيجابى ، فى نفوس المستشرقين ، فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين ، وإننا نريد أن نفهمهم من نحن ، ومن نكون ؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا ، وتراثنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا .

٦ ــ أن تقيم كل جامعة فى مجتمعات الأمة الإسلامية معهداً للدراسات الاستشراقية ، يمنح الدارسون فى هذا المعهد درجات علمية عالمية ، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة ، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية ، فى حين أننا نجد أنه ما من جامعة فى أوربا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين ، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق .

٧ ــ أن تعمل كل جامعة ، وكل معهد ، وكل مؤسسة ، على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية ، فى مواضع محددة .

٨ ــ أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية وتكامل فى الموضوعات المطروحة .

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التى تواجه الأمة الإسلامية ، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف فى وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة ، ولا عقل ، ولا منطق ، بل هى جهود مغرضة ، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله ، وقد اتسمت هذه الجهود بالكذب والافتراء والمغالطة .

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم .. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل ، وآلاف التخريجات التى لا صلة لها بالعلم .

وإذا كان المسلمون يظنون أنهم فى صحوة إسلامية ، ووعى إسلامى ، فإن من مبادىء الصحوة الإسلامية وأولياتها : مواجهة الاستشراق والمستشرقين ، حتى لا يأتى وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية ، وتجارب مرادة ، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور ، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود ، والتأخر ، والتخلف .

ثانيا : مواجهة التبشير :

كلمة « التبشير » من الكلمات التى أطلقت على المنظمات الدينية النصرانية ، التى تستهدف نشر الديانة النصرانية فى المجتمعات الإسلامية والوثنية والإلحادية .

ومما يجدر أن نعرفه أن البعض من الدارسين والباحثين ، يستعملون فى بحوثهم التي تتصل بنشر النصرانية كلمة « التنصير » بدلاً من كلمة

« التبشير » لأن كلمة التبشير فى المعاجم تعنى : الخبر الذى يفيد السرور ، والبعض الآخر يستعملون كلمة « التبشير » لأن كلمة التبشير هى لسانهم وعقيدتهم ، ونحن نستعمل فى بحوثنا كلمة الاستعمار ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والعلمانية ، والديمقراطية ، كما ذكرها أصحابها ، ولا مانع أن نذكر كلمة التبشير كما جاءت .

والتبشير ـ كما تذكره الموسوعات ـ حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية فى الأمم المختلفة فى دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة ، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب .

ويعتبر المبشر « ريمون لول » أول نصرانى يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية فى مهمتها ، إذ أنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة ، وأخذ يجول فى بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين ، ومنذ القرن الخامس عشر الميلادى وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى إفريقيا ، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية ، إنجليزية ، وألمانية ، وفرنسية .

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه الجهود إلى التبشير فى المجتمعات الإسلامية ، تريد أن تقتلع الإسلام من نفوس المسلمين ، أو تبعد المسلمين عن الإسلام حتى يمكن أن يعتز الإنسان بالقومية أو الحزبية أو الاشتراكية ، أو ما جرى مجرى هذا دون أن يفكر فى الإسلام .

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهم على أن القوة التى تخيف أوربا

وأمريكا هى قوة الإسلام والمسلمين ، ولذا يعمل التبشير بكل ما يملك على تمزيق الأمة الإسلامية ، ويصرح المبشر لورانس براون : بالهدف الحقيقى للمبشرين من عملهم فى بلاد المسلمين فيقول : «إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير» .

ويعبر القس صمويل زويمر عن النوايا السيئة التى تحملها النصرانية للإسلام والمسلمين ، فيقول : «لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحاً يا أيها المبشر المسيحى ، يكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحياً» .

وصمويل زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين ورئيس جمعيات التنصير فى الشرق الأوسط ، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية التى أنشأها سنة ١٩١١ م ، دخل البحرين عام ١٨٩٠ م ، ومنذ عام ١٨٩٤ م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل ، وأبرز مظاهر عمل البعثة التى أسسها زويمر كان فى حقل التطبيب فى منطقة الخليج ، ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير فى العصر الحديث ، وقد وضع كتاباً تحت عنوان «العالم الإسلامى اليوم» جاء فيه :

١ ـ يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .
٢ ـ يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل نصرانى .
٣ ـ تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .
٤ ـ ينبغى للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين .

ويقول صمويل زويمر فى مؤتمر القدس التنصيرى عام ١٩٣٥ م : «لكن مهمة التبشير التى ندبتكم لها الدول المسيحية فى البلاد الإسلامية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم هى أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها» .

ويقول أيضا : «إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى فقد جاء طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوة ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوة يجود بكل شىء» .

إن المبشرين كانوا يخططون لاختراق مجتمعات المسلمين فى دقة

وخبث ودهاء ، فالمبشر لويس ماسينيون قام على رعاية التبشير والتنصير فى مصر ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، كما أنه كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال إفريقيا ، والمبشر «دون هك كيرى» كان أكبر شخصية فى مؤتمر لوزان التبشيرى وهو بروتستانتى ، عمل مبشراً فى الباكستان لمدة عشرين سنة .

ولقد كان للمبشرين ـ ولايزال ـ الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية التى يناقشون فيها خطط التبشير ، واتخاذ ما يرونه مناسباً لهم ، ومن تلك المؤتمرات المؤتمر التبشيرى العالمى فى أدنبره باسكوتلنده عام ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م ، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية فى العالم ، ومن أخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٨ م تحت اسم «مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين» حضره مائة وخمسون مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية فى العالم ، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق ، وانتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها .

وما أكثر مؤتمرات التبشير التى تعقد فى أماكن متفرقة حسب الحاجة لعرقلة جهود المسلمين ، واقتلاعهم من الإسلام ، ويتخذ المبشرون وسائل وأساليب متعددة تحيط بالإنسان ، ومن وسائلهم التطبيب ، والتعليم ، والأعمال الاجتماعية ، والفتن ، والحروب ، يقول الدكتور نجيب الكيلانى : «إن روح التعصب الأعمى ضد كل ماهو إسلامى لم تزل سائدة حتى أيامنا هذه ، تلك الروح التى غذاها المبشرون ورجال الدين من معتنقى الصليبية القديمة» .

وإن المباحث فى أساليب التبشير التى أحاطت بالمسلمين يجد أن هذه الأساليب أضرت بالمجتمعات الإسلامية ، وأصبحت عاملاً معوقاً لكل تقدم إسلامى ، وقد نجح التبشير فى مواقع كثيرة ؛ لأن امكاناتهم هائلة ويتحملون ويعملون ويخططون ويتربصون ، وإذا كنا تنبهنا أخيراً إلى الأخطار المحدقة بالمسلمين من جانب المبشرين ، فإن تَنَبُّهنا لم يأخذ بنا إلى الطريق السليم ، وليس من الكياسة أن نكتفى بإنشاء مراكز للدعوة هنا وهناك ، إن الأمر يقتضى قبل مراكز الدعوة أن نكون أقمنا الملاجىء والمستشفيات والمدارس والمعاهد ومؤسسات الإغاثة والإعاشة .

إن المواجهة الصحيحة تقتضى عملاً يُعمل ، لا كلاماً يقال : إن المبشرين يعملون ونحن لا نعمل ، وإذا رغبنا فى مواجهتهم لإنقاذ إخواننا المسلمين فلابد وأن يكون عملنا أزيد من عملهم ، وتحركنا أسرع من تحركهم .

وإن المواجهة تحتاج إلى تخطيط ، وتنظيم واتساع المواقع ، والتعرف الدقيق ، فإذا ما فعلنا ذلك ، كان ذلك بداية فى طريق طويل .

أما أن نترك المسلمين فى قارة إفريقيا وآسيا وغيرهما تفترسهما النصرانية فإن ذلك أمر بالغ الخطورة .

وإذا كان للتبشير مؤتمرات دولية ، ومعاهد علمية ، وجمعيات تبشيرية ، فلماذا لا تكون للمسلمين مؤتمرات للدعوة والمواجهة . وهنا ربما يقول قائل : للمسلمين مؤتمرات للدعوة كثيراً ما سمعنا وقرأنا

عنها ، نعم للمسلمين مؤتمرات ، ولكن الناس يجتمعون فيها لينفضوا ، فهى تساوى مظاهرة فى الشارع ، فيها تصفيق وكلام ، ثم يدخل كل واحد بيته .

نحن نريد مؤتمرات لاتكون توصياتها وقراراتها حبراً على ورق ، وإنما نريد عملاً يعمل فى دقة وتخطيط وسرية .

إن المجتمعات الإسلامية تعانى من التسلط التبشيرى فى الصحافة وسائر وسائل الإعلام ووكالات الأنباء ، وتعانى فى البيت وفى الشارع وفى أمور كثيرة ، قد يعرفها البعض ويسكت ، وما أكثر الساكتين لأنهم لا يملكون أن يقولوا شيئاً ، إنك ترى برنامجاً فى التليفزيون ينطلق من دولة إسلامية عربية فيشدك إلى مزارع وحدائق خضراء بأندونيسيا ومستشفيات ومدارس أخذت بيد الأندونيسى يقال عنها أنها : « من صنع وإدارة وأعمال الكنيسة الكاثوليكية ، هكذا تسمع وترى ، ولا يخفى أن هذه الدعاية التبشيرية نصرانية ، ومن الغريب والعجيب أنك ترى فى أسواق الصحافة فى بعض البلاد الإسلامية ، ماهب ودب ، وهو وهى ، من المجلات والصحف ، وتمنع من الدخول والوصول بعض المجلات والصحف الإسلامية ، لماذا ؟ لأنها إسلامية ، وكل ماهو إسلامى يقض مضاجع المبشرين ، ومن المؤلم حقاً أنك تجد عند باعة الصحف مئات المجلات فى كل التخصصات ماعدا الإسلام ، فمجلاته قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة . ويبدو أن هذا ربما تكون وراءه أجهزة تبشيرية ، حتى لا يكون هناك التأثير الذى يمنع من التأثر بالتبشير ، إن أمتنا الإسلامية مطالبة بأن تتبصر العواقب ، وتتعرف

على خطواتها بحكمة وتدبر قبل أن يتسع الخرق على الراقع . إن التبشير نجح فى تنصير البعض ، ونجح فى أنه جعل المسلمين فى موقف المدافع وهو موقف المهزوم ، فهل نتدارك هذه المواقف ، ونتخطاها إلى موقف المواجهة ؟

(أ) علينـــا أن ندرك تمامـــاً أن هؤلاء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم ، أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام ، إلا فى حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالإسلام ، سلوكاً وتطبيقاً ، ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملا يُعْمل ، يهتم بإنشاء المدارس والمستوصفات ، والملاجىء ، ورعاية الأيتام ، واللقطاء ، والمسنين ، ويصاحب ذلك توعية إسلامية ، وتبشيرية بالإسلام .

(ب) إن ما يقوم به التبشير النصرانى فى إفريقيا والمجتمعات الإسلامية المختلفة ، من بناء المستشفيات الخيرية ، والمدارس وغيرها مما يقدم للإنسان ، هو عمل خيرى فى الدرجة الأولى ، لأن الإنسان فى مثل هذه المجتمعات فى حاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة بالعلم ، والخبز ، والعلاج ، فإذا ما أراد المسلمون المواجهة العملية ، فعليهم أن يعملوا مثل ما يعمل المبشرون ويزيدون عليهم .

(جـ) يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانات هائلة : مادية وبشرية ، فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها الإمكانات المادية ، والطاقات البشرية .

(د) لابد وأن نواجه التبشير من خلال مخطط دقيق ، ينفذ بحكمة وبصيرة ، توزع فيه الأدوار ليكون هناك التكامل الواعى .

(هـ) يصاحب ذلك كله نقد للأفكار الغربية والتبشيرية .

ثالثا : وإذا كنا عرفنا كيفية مواجهة الاستشراق ، وكيفية مواجهة التبشير ـ وهما أصلان رئيسيان لكل أدوات الغزو الفكرى وتياراته فى المجتمعات الإسلامية ـ فإن هذه المواجهة لا تتم إلا إذا قامت أجهزة الإعلام فى الشعوب الإسلامية بأمرين :

الأمر الأول : أن تتوقف أجهزة الإعلام من (صحافة ، وإذاعة ، وتليفزيون ، ومسرح ، وسينما ، وفيديو) عن تقديم أى شىء يتنافى مع مبادىء الإسلام ، لأنه لا فائدة من مواجهة الفكر الاستشراقى والتبشيرى فى الوقت الذى نجد فيه أجهزة الإعلام ، تمور بكل ماهو مخالف للإسلام من عرى ، وخلاعة ، وتقاليد غربية .

والأمر الثانى : أن تواكب مؤسسات الإعلام هذه المواجهة ، فتتناولها وتقف من ورائها ، وتعمل على مساعدتها بالتوجيه .

وقد لايكون المرء مجانباً للصواب إذا تأكد لديه أن مؤسسات الإعلام فى بعض المجتمعات الإسلامية ، قد نجح الاختراق الاستشراقى والتبشيرى فى الوصول إليها ، عن طرق عملائه الذين يديرون شئونها ، ولذا كان لابد من تطهير مؤسسات الإعلام من هؤلاء العملاء الذين وقعوا فريسة الغزو الفكرى ، وتربوا فى مدارسه ومعاهده .

رابعاً : أن تتوجه النقود إلى أى أثر من آثار « الغزو الفكرى » الموجود بالمجتمعات الإسلامية دون مجاملة لهذه المجتمعات ، وأقول هذا ، لأن كل مجتمع إسلامى يحب أن يمدح فقط ، وقد يكون فيه من البلاء مافيه .

ومشكلتنا : أننا نفرح بالمدح ، ونجامل بعض على حساب ما يمس شخصيتنا وإسلامنا يجب أن نضع فى الحساب أن أى مجتمع إسلامى هو مجتمعنا دون عنصرية أو إقليمية أو قومية أو حزبية ، وبهذا نستطيع أن نتمكن من المواجهة ، وتقديم النصيحة .

خامساً : لابد وأن تتجه جهود المصلحين فى المجتمعات الإسلامية ، إلى التربية لأن المبادىء الإسلامية بمفاهيمها الأساسية ، ومناهجها التربوية ، تصنع شخصية متميزة لها سماتها وغاياتها الخاصة .

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكرى فى برامجه التخريبية ، هو هدم شخصيتنا الإسلامية : عقدياً ، وثقافياً ، وسلوكياً ، وعاطفياً .

ولعل معاول « الغزو الفكرى » التى أصابت الكثير ، لم تؤثر إلا من جراء انهدام الشخصية الإسلامية .

ولهذا كان لابد من اتجاه فريق من المصلحين إلى تربية الأجيال ، تربية إسلامية ، تتولى المسئولية ، والإدارة .

● تربية تجعل الإنسان إيجابياً يعيش فى حركة فكرية ، ونفسية ، وجسدية ، بناءة بعيداً عن السلوك التخريبى .. رافضاً التحجر والجمود .. لا يرضى بالسلوك الانسحابى الذى يتهرب من نشاطات الحياة ، ويبتعد عن مواجهة الصعاب .

● تربية تؤهل الإنسان للعطاء ، وتنمى فيه القدرة على الإنتاج والإبداع ، بما تفتح له من آفاق التفكير والممارسة .

● تربية تعد الإنسان إغداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة

التى يرسمها ويخطط أبعادها الإسلام ، لأن الحياة فى نظر الإسلام : عمل ، وبناء ، وعطاء ، وتنافس فى الخيرات..

● تربية تجعل الشخصية الإسلامية شخصية متزنة ، لا يطغى على موقفها الإنفعال ، ولا يسيطر عليها التفكير المادى ، ولا الانحراف الفكرى المتأتى من سيولة العقل وامتداد اللامعقول .

● تربية تبنى الإنسان على أساس وحدة ، فكرية ، وسلوكية ، وعاطفية ، متماسكة .. على أساس من التنسيق ، والتوافق الفكرى ، والعاطفى ، والسلوكى الملتزم ، الذى لا يعرف التناقض ، ولا الشذوذ .

● تربية تجعل الإنسان المسلم يشعر دوماً أنه مسئول عن الإصلاح ، وأنه يجب عليه أن ينهض بمسئوليته ، ويقود نحو شاطىء العدل والسلام .

● وإن أمتنا تتطلع إلى غدٍ مشرق ، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل ، وجهود بناءة تكون علامات مضيئة فى الطريق .

المصـــادر والمراجـــع

١ ـ ابن نبى :

مالك : إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ، ط. دار الإرشاد ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٢ ـ أسـد :

محمد : الإسلام على مفترق الطرق ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧م .

٣ ـ البـهى :

الدكتور محمد البهى : الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ، ط. دار الفكر ١٩٧٢م .

٤ ـ التميمى وآخرين :

عز الدين الخطيب التميمى : نظرات فى الثقافة الإسلامية ، ط. دار الفرقان ، عمان ١٤٠٤هـ .

٥ ـ الجنـدى :

ـ أنور الجندى : إطار إسلامى للفكر المعاصر ، ط. المكتب الإسلامى ، ١٩٨٠م بيروت .

ـ أنور الجندى : شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى ، ط. المكتب الإسلامى ١٤٠٣هـ .

ـ أنور الجندى : المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر ، ط. دار الاعتصام بالقاهرة ، ١٩٨٢م .

٦ ـ حسـن :

محمد أمين حسن : خصائص الدعوة الإسلامية ، ط. مكتبة المنار ، الأردن .

د . محمد إبراهيم ، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية ، مجلة رسالة الخليج عربى ، عدد رقم ٢٣ ، ط . الرياض ، مكتب التربية العربى ، لدول الخليج .

٧ ـ حسين :

د . محمد محمد : الإسلام والحضارة الغربية ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

٨ ـ خان :

وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ، ط . المختار الإسلامى .

٩ ـ الخربوطلى :

على حسن : المستشرقون والتاريخ الإسلامى ، ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٠ ـ الخطيب :

د . عمر عودة : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

محب الدين الخطيب : الغارة على العالم الإسلامى ، ١٣٨٤هـ .

١١ ـ خليل :

د . عماد الدين : المستشرقون والسيرة النبوية ، ط . دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ .

١٢ ـ زقزوق :

د . محمود حمدى : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ط . كتاب الأمة ، دولة قطر ، ١٤٠٤هـ .

١٣ ـ السباعى :

د . مصطفى : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ط . المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

د. مصطفى : الاستشراق والمستشرقون ، ط. المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٧٥م .

١٤ ـ السايح :

د. أحمد عبد الرحيم السايح : أضواء على الحضارة الإسلامية ، ط. دار اللواء السعودية ، ١٤٠١هـ .

د. أحمد عبد الرحيم السايح : التيارات الفكرية والحركات المعاصرة ، ط. دار الطباعة المحمدية ، بالقاهرة ، ١٩٩٠م .

د. أحمد عبد الرحيم السايح : العلاقة بين الاستشراق والتبشير ، ط. كلية أصول الدين والدعوة بشبين الكوم ، مصر ١٩٨٩م .

د. أحمد عبد الرحيم السايح : معارك حاسمة فى حياة المسلمين ، ط. دار اللواء بالرياض ، ١٤٠٩هـ .

د. أحمد عبد الرحيم السايح : هذا هو الإسلام ، ط. دار الثقافة بالدوحة ، ١٩٨٩م .

١٥ ـ سمايلوفتش :

د. أحمد : فلسفة الاستشراق ، ط. دار المعارف بمصر .

١٦ ـ ضياء الدين :

د. حسن : الاستشراق ، مجلة كلية الشريعة ، العدد الخامس ، مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ .

١٧ ـ طه :

د. غزية : من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع١٣ ، رمضان ١٤٠٩هـ ، مجلس النشر العلمى بالكويت .

١٨ ـ الطهطاوى :

المستشار محمد عزت إسماعيل ، التبشير والاستشراق ، ط. مجمع البحوث الإسلامية ، بالأزهر ، ١٣٩٧هـ .

١٩ ـ العقيقى :
نجيب : المستشرقون ، ج ١ ـ و ـ ج ٢ ، ط. دار المعارف بمصر .
٢٠ ـ عمارة :
الدكتور محمد عمارة : الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ط. الأمانة العامة للدعوة بالأزهر ، ١٩٨٨م .
٢١ ـ العمرى :
الدكتورة نادية شريف العمرى : أضواء على الثقافة الإسلامية ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ .
٢٢ ـ فروخ :
د. عمر فروخ والخالدى : التبشير والاستعمار ، ط. المكتبة العصرية ، بيروت .
د. عمر : الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة من كتاب المستشرقون والإسلام ، ط. الهند .
٢٣ ـ قطب :
محمد قطب : واقعنا المعاصر ، ط. مؤسسة المدينة ، جدة ، ١٤٠٧هـ .
٢٤ ـ القارىء :
الشيخ عبد العزيز : المستشرقون فى الميزان ، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٣هـ .
٢٥ ـ الكيلانى :
د. نجيب : الإسلام والقوة المضادة ، ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .
٢٦ ـ اللبان :
إبراهيم عبد المجيد : المستشرقون والإسلام ، ط. إدارة الثقافة بالأزهر ، ١٩٦٨م .

٢٧ ـ لوبـون :
الدكتور جوستاف لوبـون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، ط. الثانية ، ١٩٤٨م .
٢٨ ـ مجلة المنهل :
عدد متخصص : الاستشراق والمستشرقون ، رمضان وشوال ١٤٠٩هـ ، عدد رقم ٤٧١ ، جدة ، السعودية .
٢٩ ـ محمـود :
د. عبـد الحليم : أوربـا والإسلام ، ط. منشورات المكتبـة العصريـة . بيروت .
الدكتور على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، ط. جامعة الإمام ، ١٤٠١هـ .
٣٠ ـ الميـدانى :
عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى : أجنحة المكر الثلاثة ، ط. بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٧م .
٣١ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى :
الموسوعـة الميسرة فى الأديـان والمذاهـب المعـاصرة ، ط. الريـــاض ، ١٤٠٩هـ .
٣٢ ـ النـدوى :
أبو الحسن على : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية ، ط. دار العلم الكويت ١٩٨٣م .
٣٣ ـ النعمة :
إبراهيم النعمة : المسلمون أمام تحديات الغزو الفكرى ، ط. شركة ومطبعة الزهراء ، العراق ١٩٨٦م .

٣٤ ـ النقرة :

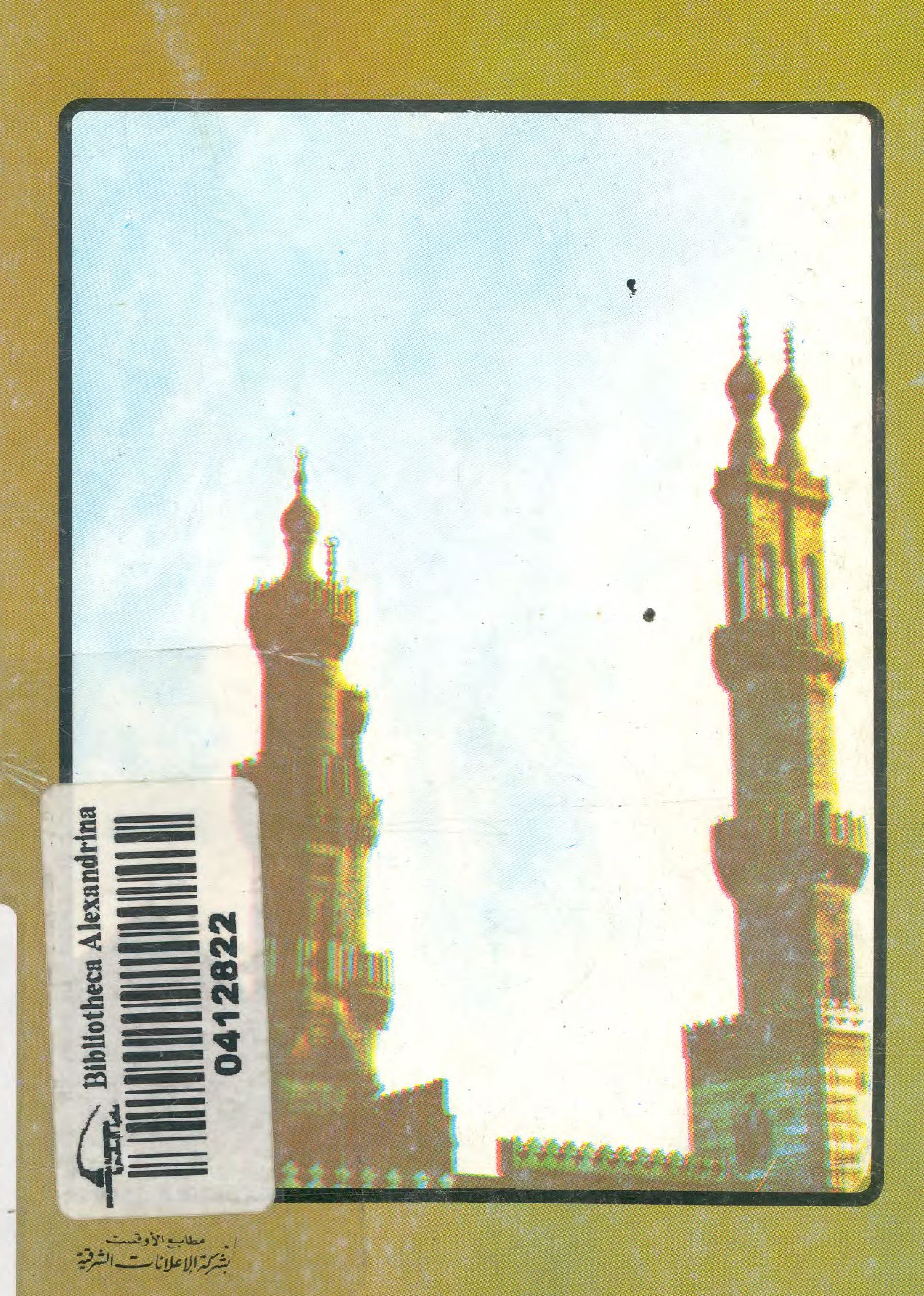
د . التهامى : القرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين ، ج ١ ط . مكتب التربية لدول الخليج العربى ١٩٨٥م .

٣٥ ـ الواعى :

الدكتور توفيق يوسف : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، ط . دار الوفاء ، المنصورة ١٤٠٨هـ .

الفهـــرس

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية



مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية